ديوان رسالة الشرق

تأليف

بيام مشرق

نقله إلى العربية

الدكتور عبد الوهاب عزام

الناشر

شركة نوابغ الفكر

obeikandl.com

الطبعة الاولى
1434 هـ - 2013
حقوق الطبع محفوظة للناشر
شركة نوابغ الفكر
هاتف:25936402 ،فاكس: 27865553
E-mail: nawabgh_elfekr@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

مشرق ، بيام
ديوان رسالة الشرق / بيام مشرق ، نقلة الى العربية : عبد الوهاب عزام
- ط 1 – القاهرة : شركة نوابغ الفكر ، 2013
ص ، 24سم
تدمك :978-977-6415-12-6
1- الشعر الفارسى
ا- عزام ، عبد الوهاب (مترجم)
ب- العنوان

ديوى :891,55

رقم الايداع :2013/1614

محتوى الديوان

يشتمل هذا الديوان على هذه الأقسام:

القسم الأول: شقائق الطور، وهي رباعيات.

القسم الثاني: الأفكار، وهي إحدى وخمسون قطعة وقصيدة.

القسم الثالث: الخمر الباقية، وهي قصائد صوفية، رمزية من الضرب الذي يسمى في اصطلاح الأدب الفارسي والأردوي غزلاً، وهو غير الاصطلاح العربي، وعدد الغزليات في هذا القسم خمسٌ وأربعون.

القسم الرابع: نقش الفرنج، وهي أربع وعشرون قطعة وقصيدة، يذكر فيها الشاعر بغض شعراء أوربة وفلاسفتهم، وينقد مذاهبهم وآراءهم، فيقبل منها ويردّ.

القسم الخامس: الدقائق، وهي قطع صغيرة، وأبيات مفردة ألحقها الشاعر بهذا الديوان. وقد ترجم هذا الديوان بكامله إلى العربية شعراً الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام، هو يقدم إليك الآن مع مقدمة الشاعر.

***

مقدمة محمد إقبال [١]

لديوان «رسالة الشرق»

نظمتُ بيام مشرق لأجيب به الديوان الغربي لفيلسوف الحياة الألماني جوته الذي يقول فيه الشاعر الألماني الإسرائيلي هاينا:

«هذه باقةٌ من العقائد يرسلها المغرب إلى المشرق، ويتبين من هذا الديوان أن المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة فتطلع إلى الاقتباس من صدر المشرق».

ما المؤثرات وما الأحوال التي كتب فيها جوته هذه المجموعة من الأشعار التي هي أحسن آثاره، والتي سماها هو باسم «الديوان».

لا بد للإجابة عن هذا السؤال أن نبين إجمالاً هذا التأثير الذي سمي في تاريخ الأدب الألماني التأثير الشرقي. وددت أن أفصِّل في هذه المقدمة الكلام في هذا التأثير، ولكن المراجع الكثيرة التي يحتاج إليها في هذا البحث لم تتيسر في الهند. وقد بين بال هورن مؤلف تاريخ آداب إيران في مقال له مقدار ما كان جوته مديناً لشعراء الفرس. ولكن العدد المشتمل على هذا المقال من مجله نارو أندسود لم يمكن الحصول عليه في خزانة كتب في الهند، ولا من ألمانيا. فلا مناص من أن أعتمد في

---

(١) كتبها محمد إقبال بالأردوية، ونقلها إلى العربية خلال ترجمة هذا الديوان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام.

كتابة هذه المقدمة على ما أذكر من دراستي السابقة وعلى الرسالة المختصرة المفيدة البارعة التي كتبها في هذا الموضوع مستر «شارلس ريمي».

كانت طبيعة جوته المتطلعة تميل منذ الحداثة نحو الأفكار الشرقية، وفي استراسبورج حيث كان يتعلم القانون لقي هردر ذا المكانة والصيت في الأدب الألماني. ويعترف جوته في سوانحه بما تركت صحبة هردر في نفسه.

لم يكن هردر يعرف الفارسية، ولكن لغلبة النزعة الأخلاقية عليه كان لكتب سعدى أثر بليغ في نفسه حتّى ترجم بعض فصول كلستان إلى اللغة الألمانية. ولم يكن لحافظ الشيرازي هذه المكانة عنده، وهو يقول داعياً معاصريه: قد غنينا كثيراً على أسلوب حافظ وقد وجب الآن أن نقتدي بسعدى. ولكن مع حب هردر الآداب الشرقية هذا الحبّ لا يُعرف في شعره أو مؤلفاته الأخرى أثرٌ من هذه الآداب. وكذلك كان شلر معاصر جوته الثاني بعيداً عن تأثير الشرقيين. وقد مات قبل ظهور التأثير الشرقي، وينبغي ألا نغفل عن هذه المسألة: إنّ قصته «تورانْ دخت» أخذت خطتها من قصة بنت سلطان الإقليم الرابع التي كتبها نظامي الكنجوي في «هفت پيكر» واستهلّها بقوله:

كفت كز جملة ولايت روس

بود شهري بنيكوئي چو عروس

وسنة ١٨١٢ نشر فون همر ترجمة كاملة لديوان حافظ، وبهذه الترجمة ابتدأ التأثير الشرقي في آداب الألمان. وكان عُمُر جوته إذ ذاك خمساً وستين سنة. وكان هذا على حين بلغ انحطاط الألمان غايته في كل ناحية.

لم تكن طبيعة جوته مهيأة للمشاركة عملاً في الحركات السياسية في وطنه، فلما ضاق بالاضطراب الشائع في أوروبة أخذت روحه القلقة المحلقة تلتمس عشاء في فضاء الشرق الساكن الآمن.

وقد أثارت أناشيد حافظ هياجًا كبيرًا في أفكاره، فاختار آخر الأمر «للديوان الغربي» صورة متميز ثابتة، ولكن ترجمة فون همر لم تكن مؤثرة في جوته فحسب، بل كانت مأخذًا لخيالاته العجيبة الغريبة، فيبدو نظمه أحيانًا كأنَّه ترجمةٌ حرَّةٌ من شعر حافظ، وأحيانًا تجد قوةَ تخيُّله في مصرعٍ واحد مهيعاً جديدًا تثير فيه مسائل في الحياة بالغة في الدِّقة والصُّعوبة.

يقول بيل شوسكي كاتب سوانج جوته المعروف:

كان جوته يرى صورته في نغمات بلبل شيراز، وكان يخطر له بين الحين والحين أنّ روحه لبست صورة حافظ، فعاشت في بلاد الشرق. فنحن نجده شبيه حافظ في ذلك السُّرور الأرضي، وتلك المحبة السَّماوية، وذلك اليسر، وذلك العمق، وذلك الغليان والتوقد، وتلك السعة في المذهب، وهذا النُّور القلبي، وذلك التحرُّر من الرسوم والقيود. بل في كلِّ أمر حافظ، لسان الغيب، وترجمان الأسرار، وكذلك جوته. ولحافظ عالم من المعاني في ألفاظ بسيطة في ظاهرها، وكذلك في طريقة جوته المطبوعة تتجلَّى الحقائق والأسرار، وكلاهما نال إعجاب الأمير والصعلوك، وكلاهما أثَّر في فاتحي عصره العظام «يعني حافظ في تيمور،

وجوته في نبوليون»[1] وكلاهما في عصر اضطراب عام وخراب، حافظ على السكون والطمأنينة في قلبه مبتهجاً بالمضيّ في ترنمه القديم.

ثم جوته مدينٌ في أفكاره لغير حافظ: للشيخ عطار، وسعدي، والفردوسي، وللأدب الإسلامي عامّةً. فقد كتب في بعض المواضع غزلاً في قيود القافية والرديف، وهو يستعمل في لغته استعارات فارسية بغير تكلُّف مثل: جوهر الأشعار، وسهام الأهداب، والطرَّة المعقودة، بل هو في فورة الفارسية لا يحترز من الإشارة إلى الولوع بالمرد. ثم أسماء أقسام الديوان فارسية كذلك مثل «مغنى نامه – ساقي نامه – عشق نامه – تيمور نامه – حكمت نامه، وغيرها». ومع هذا كله فليس هو مقلداً أي شاعر فارسيّ. فطرته الشعرية حرَّةٌ ولا ريب. وإنما غناؤه في مروج الشقائق المشرقية عرضيٌّ محض. وهو لا يفرط في غربيته، وإنما يقع بصره وحده على الحقائق الشرقية التي تلائم فطرته الغربية. ولم يمل إلى التصوُّف العجمي قط. وكان يعلم أن أشعار حافظ تفسر في المشرق تفسيراً صوفياً، ولكنه لم يكلف إلا بالغزل محضاً، ولم يهتم بالتفسير الصوفي في كلام حافظ أي اهتمام.

(١) لا تصحُّ رواية التقاء حافظ وتيمور فقد توفي الشاعر قبل أن يفتح تيمور شيراز.

وكانت معارف مولانا الرُّومي وحقائقه الفلسفية مبهمةً عنده. لا يمكن أن ينكر الرومي رجلٌ مدح سبنوزا (فيلسوف هولندي كان يقول بوحدة الوجود) وأعمل قلمه في الدفاع عن برونو (فيلسوف إيطالي وجودي)»[1].

والخلاصة أن جوته في الديوان المغربي اجتهد في إظهار الروح العجمية في الأدب الألماني.

***

وقد أكمل الأثر الشرقي الذي بدأ في ديوان جوته الشعراء الذين جاءوا بعده: بلاتن، وروكرت، وبودن ستات.

فأما بلاتن؛ فقد تعلم الفارسية لمقاصد أدبية، ونظم غزلاً في القافية المردوفة، بل في العروض الفارسي، ونظم رباعيات، ونظم قصيدة في نبوليون. واستعمل الاستعارات الفارسية بغير تكلُّف مثل جوته: عروس الورد، والطرة المسكية، وشقائق العذار. وهو مولع بالتغزُّل المحض كذلك.

وأما روكرت؛ فكان ماهراً في الألسنة الثلاثة: العربية، والفارسية، والسنسكريتية. وكان لفلسفة الرومي مكانةٌ عظيمةٌ في رأيه. وتأثير مولى

(١) يعني أن الرومي كان من القائلين بوحدة الوجود، فلو عرفه جوته لعني به، كما عني بهذين الفيلسوفين.

الروم فيما كتب من غزلٍ كان أوضح، وكانت مصادره من الأشعار الشرقية أوسع بما عرف من لغات الشرق.

وقد التقط لآلئ الحكمة من مخزن الأسرار لنظامي، وبهارستان جامي، وكليات أمير خسرو، وكلستان سعدي، ومناقب العارفين، وعيار دانش، ومنطق الطير، وهفت قلزم، بل زين كلامه بقصص وروايات إيرانية ترجع إلى ما قبل الإسلام. وقد أحسن نظم بعض واقعات التاريخ الإسلامي وأشخاصه مثل موت محمود الغزنوي، وغزو محمود سومنات، والسلطانة رضية [1] وموضوعات أخرى.

وأكثر شعراء الأسلوب الشرقي قبولاً بعد جوته: بودن ستات؛ الذي نشر منظومات بالاسم المستعار «مرزا شفيع»، وقد لقيت هذه المجموعة الصغيرة من القبول ما اقتضى طبعها مئة وأربعين مرة في مدة قصيرة. أحسن هذا الشاعر تصوير الرُّوح العجمية حتى بقي الناس في ألمانيا زمناً طويلاً يحسبون أشعار مرزا شفيع ترجمة شعر فارسي.

وقد استفاد بودن ستات من أمير معزي، وأنوري كذلك.

ولم أرد أن أذكر في هذا الصدد هاينا معاصر جوته المشهور، إذ لم يكن في الجملة ذا صلةٍ بالتأثير الشرقي، ولم يهتم بما اقتبس شعراء ألمانيا من الشعر الشرقي إلا ديوان جوته، على أن الأثر العجمي بين في مجموعته المسماة «الأشعار الجديدة» وقد أجاد جداً في نظم قصة

(١) من دولة المماليك التي قامت في دلهي.

محمود، والفردوسي، ولكن قلب هذا الشاعر الألماني الحرّ لم يستطع الإفلات من شرك سحر العجم، حتى لقد تصور نفسه مرة شاعراً إيرانيا أُجلي إلى ألمانيا يقول:

«يا فردوسي! يا جامي! يا سعدي! إن أخاكم في سجن الغم يخفق حنيناً إلى أزهار شيراز».

ثم نذكر من مقلدي حافظ الأدنين منزلة: دومر، هرمن ستال لوشكي، ستابك، لتز، لنت هولد، وفون شاك. وهذا الأخير كان ذا منزلة عالية في العلم، ونظمه قصة إنصاف محمود الغزنوي، وقصة هاروت وماروت- مشهور. وأوضح الآثار في كلامه: أثر عمر الخيام.

وبعد فلا بد من بحث طويل لكتابة تاريخ كامل لتأثير الشرق في الأدب الألماني، والمقابلة بين شعراء إيران وألمانيا، لتقدير أثر العجم تقديراً حقاً، ولكن لم يتيسر الوقت، ولا العدة لهذا البحث. ولعل هذا البحث المختصر يثير قلب أحد الشبان للتحقيق والتدقيق في هذا الشأن.

***

وأما «پيام مشرق» الذي كتب بعد «الديوان الغربي» بمئة سنة فلست في حاجة إلى الإبانة عنه. فسيرى الناظرون فيه بأنفسهم أن أكثر ما يرمي إليه هو النظر في الحقائق الأخلاقية، والدينية، والمذهبية؛ التي تتصل بالتربية الباطنية في الأفراد والأمم. ولا ريب أن بين ألمانيا قبل مئة سنة وأحوال الشرق الحاضرة تشابهاً ما، ولكن الحقيقة أنّ الاضطراب الباطن في أمم

العالم الذي لا نستطيع تقدير خطره لأننا متأثرون به- هو مقدمة انقلاب حضاري وروحاني عظيم جداً.

كانت الحرب العظمى التي قامت في أوربة قيامة كادت تمحو نظام العالم القديم من كل جوانبه. وأن الفطرة لتخلق اليوم في أعماق الحياة من رماد الحضارة والثقافة إنساناً جديداً وتخلق عالماً جديداً لإقامة هذا الإنسان؛ عالماً يرى هيكله غير البين في مؤلفات آينشتاين، وبركسون.

لقد رأت أوربة بعينيها النتائج المخوفة لمثلها الاقتصادية، والأخلاقية، والعلمية. وسمعت من سنيور نيتي «الذي كان رئيس وزراء إيطالية» قصة «انحطاط الفرنج» المحزنة، ولكن واأسفاه لم يستطع عباد القديم الذين سمعوا حقائقه أن يقدروا الانقلاب المدهش الذي كان يثور في الضمير الإنساني.

وإذا نظرنا نظرةً أدبية خالصة نرى أن اضمحلال قوى الإنسان بعد الحرب لا ييسر نشوء مثل روحيةٍ صحيحة ناضجة. بل يخشى أن تغلب على طبائع الناس هذه الإباحية المنهوكة الضعيفة الأعصاب التي تفرُّ من مصاعب الحياة، والتي لا تميز بين نزعات القلب وأفكار العقل. لا شك أن أمريكا عنصر صحيح في الحضارة الغربية، فلعلّ هذا الإقليم خالص من قيود الروايات القديمة، ولعل وجدانه الاجتماعي يقبل راضياً الأفكار والنزعات الجديدة.

***

إن الشرق- ولا سيما الشرق الإسلامي- يفتح عينيه بعد نوم القرون المتطاولة. ولكن يجب على أمم الشرق أن تتبين أن الحياة لا تستطيع أن تبدل ما حولها حتى يكون تبدلٌ في أعماقها، وأن عالماً جديداً لا يستطيع أن يتخذ وجوده الخارجي حتى يوجد في ضمائر الناس قبلاً. هذا قانون الفطرة الثابت الذي بينه القرآن في كلمات يسيرة وبليغة: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد: ١١]، إنه قانون يجمع جانبي الحياة كليهما الفردي والاجتماعي. وقد اجتهدت في كتبي الفارسية أن أبين للناس صدقه، وأنه لجدير بالإكبار كل مسعى في العالم- ولا سيما في بلاد الشرق- يقصد إلى أن يرفع أنظار الأفراد والجماعات فوق الحدود الجغرافية، فيولد أو يجدد فيها سيرة إنسانية صحيحة قوية.

***

وأختم بالثناء على صديقي جودهري محمد حسين. أم. أي، قد رتب مسودات «پيام مشرق» للطبع. ولولا احتماله هذه المشقة لكان عسى أن يتأخر نشر هذه المجموعة مدة طويلة.

إقبال

***

القسم الأول

شقائق الطُّور

-١-

شَـــهيدُ دَلالـــه حفـــلُ الوجـــود وكـــلُّ الكائنـــاتِ مـــن الـــسُّجُود[1]
ألـــم تـــرَ أنَّ شـــمسَ الأُفـــقِ لاحـــتْ بوجـــهِ الـــصُّبح مـــن أثـــر الـــسُّجُودِ؟

-٢-

بقلبـــي مـــن تحرُّقـــه ضـــياءُ ويجلـــو النُّـــور فـــي عينـــي البُكـــاءُ
فـــزاد مـــن الحيـــاة نـــوىً غبـــيٌّ يقـــول: العـــشقُ مـــسٌّ أو هُـــراءُ

-٣-

نـــسيمُ العِـــشقِ فـــي الجنَّـــات جـــارِ ويُنمـــي العِـــشقُ أزهـــار البـــراري
ويختـــرقُ البحـــارَ لـــه شـــعاعٌ فيهـــدي العـــشقُ حيتـــان البحـــار

-٤-

رمـــوزُ العِـــشقِ فـــي ورَق الـــشقائقْ وغـــمُّ العِـــشْقِ فـــي رُوحِ الخلائـــقْ
وإن تَـــصْدَع طبـــاقَ الأرض تُبـــصر نـــصيبَ العِـــشْقِ مـــن دمِ كـــلِّ عاشِـــق

-٥-

ومـــا كـــلٌّ لـــه فـــي الحُـــبِّ كفـــلُ ومـــا كـــلُّ الـــوَرَى للحُـــبِّ أهـــلُ

---

(١) جمع ساجد.

obeikandl.com

علـــى وَرَقِ الـــشَّقائق وَسْـــمُ غـــمّ ويخلـو مـن شـرار القَلـب لَعْـلُ [١]

-٦-

بهـذا المـزْج مثـلَ الـرِّيح [٢] أسـري عـــلامَ أهـــيمُ فيـــه؟ لـــستُ أدري
فـــإن أظفـــر وإن أُخفـــق فـــإنّي شـــهيدُ تـــضرُّمِ الآمـــال عُمْـــرِي

-٧-

يقـــول العنـــدليبُ: أيـــا صـــاحبي ! أغيـــرُ الغـــمِّ فـــي هـــذا التـــراب؟
يَـشيخُ الـشوكُ فـي عَـرضِ الفيـافي ويـذوي الـوردُ فـي عُمُـر الـشبابِ

-٨-

لبَـــدءٍ أو ختـــامٍ لَـــستُ أسْـــرِي أنـــا ســـرٌّ أحـــاولُ كَـــشْفَ ســـرِّ
فـــإنْ بَـــدتِ الحقيقـــةُ دون ســـتر رجعتُ إلى «لعلَّ» و «ليت شعري»

-٩-

أقلبـــي! كـــالفراش هـــوى، إلامـــه؟ ولا تمـــضي مـــضاء فتـــى، إلامـــه؟
بنـــارِكَ فـــاحترقْ يومـــاً وأقـــدمْ بنـــارِ الأجنبـــيِّ صـــلَى، إلامـــه؟ [٣]

-١٠-

أقـــمْ بـــدناً علـــى كـــفِّ الغُبـــار [٤] شـــديدَ الأســـرِ صُـــلباً كالحجـــار

---

(١) اللعل: أي العقيق.

(٢) الريح: الرائحة.-

(٣) هذه الرباعية مردوفة. فيها الروي قبل الكلمة المكررة.

(٤) يكثر التعبير في الفارسية عن الإنسان بكف غبار «مشت خاك».

وقلبـــاً فيـــه جيَّاشـــاً بهـــمّ كنهـرٍ فـي حمـى الأطـواد جـار

-١١-

أنجـمَ الـصُّبح تُـسرع فـي فـراقٍ لعلّـكَ مـن رُقـادي ضـقتَ ذرعـا
ضـللتُ بغفلتـي سُـبُلي ولكـن أتيـتَ وجُزْتنـا يقظـانَ تـسعى

-١٢-

وكـم ذا فـي الوجـود مـن الحُبـور ! أرى اللَّـذاتِ فـي شَـوقِ الظهـورِ
ويَـصدَع غُـصنَه بُرعـومُ زَهـرٍ فيبـسم للحيـاةِ مـنَ الـسُّرور

-١٣-

تقـول فراشـةٌ مـنْ قبـل خلـقٍ أنلنـي لمحـةً قلـقِ الحيـاة
رمـادي فـاذرُه سَـحَراً ولكـن أذقْنـي ليلـةً حُـرَق الحيـاة

-١٤-

بنـي الإسـلام ! سـرٌّ فـي ضَـميري يُـضيء كـرُوحِ جبريـلَ الرسـولِ
أخـادع آزريَّ الطبـع عنـه [1] فهـذا الـسرُّ مـن سـرِّ الخليـل

-١٥-

أراكَ بـسرِّ أفـلاكٍ تجـولُ وتجهـلُ سـرَّ نفسك يـا جهـولُ
فوَجِّـه - كـالنواة - إليـك عينـا ليُنبـت مـنْ قرارتـك النخيـلُ

(١) آزري الطبع: الذي يشبه آزر والد إبراهيم، وكان ينحت الأصنام، وكان ولده الخليل يدعو إلى التوحيد.

-١٦-

تَغنَّـــى طـــائرٌ ســـحراً طـــويلا فأبـــدَعَ شـــدوَه نغمـــاً وقـــيلا:
أبِـــنْ عمَّـــا بـــصدرك لا تدعْـــه غنـــــاءً أو أنينـــــاً أو عَـــــويلا

-١٧-

أتبغـــي عنـــد مِثلـــي مِـــنْ شـــرابٍ يـــرُدُّك مـــنْ وجـــودك كالبعيـــد
فـــلا تطلُـــب بـــسوقي مِـــنْ متـــاعٍ ســـوى صـــدرٍ متمـــزَّق كـــالورودِ [1]

-١٨-

تَـــسوءُكَ رَوضـــتي مَـــرأيّ إذا لـــم يَـــسرُّكَ فـــي طـــلابٍ بـــذلُ روحِ
أُبـــيِّن فـــي عُـــروق الـــوَرد سِـــرًّا ربيعـــي لـــيس مـــن لـــونٍ وريـــحِ

-١٩-

أنـــا فـــي الـــروض مُنفـــردٌ غريـــبٌ علـــى غـــضني أنـــوحُ مـــع الرِّيـــاح
فـــإن تـــكُ مـــن رقـــاق القلـــب فابعُـــد فـــإنَّ دمـــي ليرشَـــحُ فـــي نُـــواحي

-٢٠-

أهـــاب إســـكندرُ بالخـــضر: أقبـــلْ وعـــان الكـــدَّ فـــي بحـــر وبـــرِّ
ومـــوت فـــي الـــوغى تـــزدَدْ حيـــاةً إلامَ تحيـــد عـــن كـــرٍّ وفـــرِّ؟

-٢١-

لـــه نقـــشٌ يُجـــدَّد كـــلَّ حـــينٍ فـــلا تَبقـــى الحيـــاةُ علـــى غِـــرار

---

(١) جمعُ ورد. والورد في خياله يمزّق صدره ليتجلّى جماله.

فـإنْ صـوَّرت يومـك مثـل أمـسِ فمـا يَحـوي ترابـك مِـنْ شـرار

-٢٢-

بهـذا المَـرجِ مـا علَّقـتُ قلبـي مـضيتُ ولـم تعـوِّقني القيـودُ
كـريح الـصُّبح طفـتُ بـه قلـيلاً مـضيتُ ونـضّرت منِّـي الـورودُ

-٢٣-

أجـاش بقطرتـي بحـراً وردَّتْ حُميَّـاه ترابـي جـام جـمِّ [1]
أقـام العقـلُ أصـناماً برأسـي خليـلُ العِـشق بادَرهـا بهـدمِ

-٢٤-

أتيـتَ الطُّـور تلـتمسُ التجلِّـي فروحُـك منـك ليـست فـي وصـال
فأقـدم فـي طلابـك آدميّـاً كـذاك الله فـي طلَـب الرِّجـال

-٢٥-

لخـوفِ المـوت قلبُـك فـي ارتعـادٍ ولونُـك حـالَ مـن خـوفِ الـشَّتاتِ
فنفـسَك أُحْكُمَـن وازدد نـضوجاً فـإن تفعـل تعـش بعـد الممـاتِ

-٢٦-

دَع الـرازيَّ فـي تفـسير آي فـإنَّ ضـميرنا نعـم الـدليلُ
يـضرَّم عقلُنـا والقلـبُ يـصلى بـذا نمـردُ فـسَّر والخليـلُ

---

(١) كأس جمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية كان يرى فيها العالم.

-٢٧-

فـأبلغْ شـاعر الألـوانِ عنّـي: لهيبُـك كالشَّقائق لا يَـضيرُ
فنفسَك لا تُـذيب بنـارِ قلـبٍ ولا لـيلاً لمحـزونٍ تنيـرُ
جميلُـك أو قبيحُـك لا أراه جَعلتَ عيـاره ربحـاً وخُسرا
بهـذا الحفْـلِ مـن مثلـي وحيـداً؟ أرى الـدُّنيا بعـينٍ فـيَّ أخـرى

-٢٨-

دع الـشُّطآن لا تـركنْ إليهـا ضـعيفٌ عنـدها جَـرسُ الحيـاةِ
عليـك البحـرَ صـارع فيـه موجـاً حيـاةُ الخلـدِ فـي نَـصَبٍ تُـواتي

-٢٩-

أتكثـرُ لـي حـديثاً عـن حيـاةٍ ولـستُ أراكَ فيهـا بـالحقيقِ؟
سَـكِرْتُ بلـذَّة التَّيـار حتَّـى جعلـتُ منـازلي مِيْـلَ الطَّريـقِ [1]

-٣٠-

مَـرَرْتُ بزهـرةٍ ذبلـتْ فقالـتْ وجُـودي مثـلُ مـا طـارَ الـشرارُ
يـذوبُ لِمحنَـةِ النقـاشِ قلبِـي فلـيسَ لـنقشِ ليقتـه قـرار

-٣١-

أرى الـدُّنيا علـى سـعةٍ كحـوتٍ مـن الأيـام فـي بحـرٍ عميـقِ
فقلبَـك أبـصرنْ واعجـب لبحـرٍ مـنَ الأيـام فـي كـاسٍ غريـق

(١) يعني: أن كل منزل يبلغه يعده علامة على الطريق لا غاية. والميل الحجر يبين المسافة.

-٣٢-

أنـا فـي المـرح حـدّيثُ الطيـورِ ومقـوَلُ كـلِّ بُرعـومٍ صَـغير
فأسْـلَمَ للـصَّبا تُربـي بمـوتي فمـا لـي غيـرُ طـوفٍ بـالزُّهور

-٣٣-

أوادي الـورد يُبـدي كـلَّ شـيءٍ فمـا سـرُّ الـشَّقائق فـي لهيـبِ؟
بأعيننـا الرُّبـى أمـواجُ لـونٍ فكيـف تُـرى بعـينِ العنـدليبِ

-٣٤-

دمـاغي يَعـشق الأصـنام كفـراً يربهـا ويعبـد كـلَّ حـين
فأبـصر فـي فـؤادي نـارَ عـشقٍ بعيـدٌ أنـت مِـن سـنَني ودينـي

-٣٥-

عـوالمُ مـن نجـومٍ لا تُحَـدُّ يطيـر الفكـر فيهـا لا يُـردُّ
ولكـن فـي خفايـا القلـب يُلفـى لمـا يحتويـه الحـدث، حـدُّ

-٣٦-

بسلـسلةِ القـضاء ربطـتَ رجـلاً وفـي سـعةِ العـوالم ضـقْتَ حـالا
فقُـم إن كنـتَ فـي ريـبٍ وحـاول تجـدْ للرَّجـل فـي الـدنيا مجـالا

-٣٧-

بـضربك قـد علـتْ أنغـامُ رُوحـي أفـي روحـي وخارجَهـا تكـون؟
برقـك خامـدٌ وبـك اشـتعالي بـلا كيـفٍ فكيـف تُـرى بـدوني

-٣٨-

أرى الأنفاس من جدواه موجاً ... ومن أنفاسه نابي ونغمي
على النهر المؤيد قد نبتنا ... وقطر نداه أعصابي وجسمي

-

أيا طفل السجايا أسمع عتابي ... أإسلام وفخر بانتساب؟
فأن تعتز بالإنساب عرب ... فإن جزاءها هجر الصحاب

-

أأفغان وتاتار وترك ... وفي مرج ومن غصن نمونا
حرام بيننا تفريق لون ... ربيع واحد فيه زهونا

-

ثوت في صدورنا همم كبار ... بطينتنا فؤاد فيه نار
من الخمر التي فينا أضاءت ... مقيم في زجاجتنا شرار

-

أيا قلبي ! أيا قلبي ! أيا قلبي ! ... أيا فُلْكي ! ويا برِّي وبحري !
قَطرتَ على تُرابي كالنَّدى أمْ ... نبتَّ بتُربتي بُرعوم زهرِ ؟

-٣٩-

أتسأل من أنا من أين جيت ... حبيتُ بما على نفسي طويتُ
بهذا البحر مثلَ الموج أسري ... إذا لم أطو في نفسي فنيتُ

-٤٠-

عليك السَّيْرَ لا ترغب مَقيلا وسرْ كالشَّمس لا تَرقُب دليلا
وهَبْ للآخرينَ متاعَ عقلٍ ونارَ العِشْق فاحفَظْها بَديلا

-٤١-

ألا يا عشقُ ! يا رمزَ الفؤاد ! ويا زرعي النضير ! ويا حصادي !
تقادمَ أهلُ هذا التُّرب فاخرجْ بآدم مُحدَثٍ من ذا الرَّماد

-٤٢-

يرى قلبُ الشُّجاع الليث وهماً وفي قلب الجبان الظَّبي بَبرُ
أخمراً خلتني أمْ كأسَ خمرٍ ودُرّاً خلتني أم كيس درّ
أراني غير روحي وهي غيري متى أنظر إلى مكنون سرّي

-٤٤-

تقول: بطيرنا عَلِقتْ قيودُ وفي شَركِ الجسوم لها همودُ
ومعنى الرُّوح بالأجسام يعلو مِسنُّ سيوفنا هذي الغُمودُ

-٤٥-

فكيف بقلبنا وُلِدَ الرَّجاءُ وكيف سراجُ منزلنا يُضاء
ومن في العين يبصر ما يراه وكيفَ حوى النُّهى طينٌ وماءُ

-٤٦-

لنا كون لأزميلٍ ونحتٍ يقبه صباحُك والمساءُ
مثالٌ من تُراب لم يكمَّل يسوّيه بمبرده القضاءُ

-٤٧-

طريقُك فانحتنه في كفاحٍ ... طريقُ سواك مسلكُه عذابُ
فإن أبدعت في عملٍ فريّ ... وإنْ يك مأثماً فلك الثوابُ

-٤٨-

دليلُ القلب لا يرضي نزولاً ... ولا يُرضيه ماؤك والتُّرابُ
فلا تحسبه في جسدٍ مقيماً ... فلا يرضى بشطّ ذا العُباب

-٤٩-

تَخذْتُ لخلوتي طيني ومائي ... ويُوعدَ بين أفلاطٍ وبيني
فلم أستجد يوماً عين غيري ... ولم أر عالمي إلاّ بعيني

-٥٠-

ترى رمز الحياة بكل كمٍّ ... مجازٌ فيه يا قلبي الحقيقة
بثُربٍ مظلم ينمو ولكن ... له عينٌ إلى شمس الخليقة
يُضيء على المروج وكلِّ سَهْبٍ ... وكأس الورد فيه نورُ حُب
وما تَغْشَى الورى ظلماتُ ليل ... فحرقته السِّراج لكلِّ قلب

-٥٢-

وبالعدَمِ استزابت ثمَّ راغت ... فحلَّت قلبَ آدم للثَّواء

-٥٣-

بقلبي سرُّ جُثمانٍ وروحٍ ... فلا فزع إذا أجلي أتاني
فإمَّا غاب عن عينيَّ كونٌ ... فباقٍ ألفُ كونٍ في جناني

-٥٤-

مـزاجَ الزَّهـر أعـرف فـي يقـينٍ وريـحُ الـورد فـي خَلَـد الغـصونِ
وحبَّبنـي إلـى الأطيـار أنِّـي عَرَفْـتُ لهـا مقامـاتِ اللُّحـونِ

-٥٥-

نظـامُ الكـون مـن شـعر الرَّجـاء لـه الأوتـار مِـنْ وتَـر الرَّجـاء
بعينـي كـلُّ مـا يمـضي ويـأتي هـو اللَّمحـاتُ مِـنْ دهـر الرَّجـاء

-٥٦-

يهـيمُ القلـبُ فـي أثـر الرَّجـاءِ وصـدري مـن ضـجيج فـي عنـاءِ
فـلا تطمـعْ جليـسي! فـي حـديثي فـإني مِـنْ فُـؤادي فـي نـداءِ

-٥٧-

أرى الحكمـاءَ تحطـمُ كـلَّ شـكلٍ ومِـن هـذا الوجـودِ بـسومنات [1]
يريـدون الملائـك فـي طـلاب ومـا ظفـروا بـآدم فـي الحيـاة

-٥٨-

جلـستُ مـع الطبيعـة ألـف عـامٍ وُصِـلتُ بهـا وعـن نفـسي فُـصِمْتُ
قُـصارى سـيرتي فـي ذاك أن قـد نحـتُّ، وقـد عبـدتُ، وقـد حطَمْـتُ

-٥٩-

بنفـسي جلـوةُ الأفكـارَ، مـا هـذا؟ وحـولي محـشر الأسـرارِ، مـا هـذا؟

---

(١) معبد أصنام معروف في الهند.

أبِـن لـي يـا حكـيمُ: يقـيم جـسمي ... وروحـي دائـم التَّـسيار. مـا هـذا؟

-٦٠-

بكيفـك إن تُحـط خُبـراً وكمِّـك ... يفـضْ مـن قطـرةٍ لـك فـيض يَمِّـك
فيـا قلبـي لـم اسـتجداءُ شـمسٍ؟ ... مـن الأنفـاس نـوِّر ليـلَ غمِّـك

-٦١-

أفـق مـا القلـبُ بالأنفـاس يَحيـا ... ولا هُـو رهـنُ مـا يبقـى ويفنـى
أخـا الأوهـامِ لا ترهَـبْ حِمامـاً ... فـإنْ نَفـسٌ مـضى فالقلـبُ يبقَـى

-٦٢-

إلـى أهَـل التَّـصوُّف والـصفاء ... رجـالُ اللهِ أربـاب الـضياء:
أنـا عبـدُ الهمَّـة عبـد نفـس ... بنـورِ الـتَّفس للخـلاَّق راء

-٦٣-

بعُـدَّة حاننـا الغبـرا غُبـار ... ودورةُ كأسِـنا الفُلـكُ المُـدار
حـديثُ جهادنـا مُـضنٍ طويـل ... ودُنيانـا لقـصَّتنا اختـصار

-٦٤-

ومـا علَّقـتُ بالأنغـام قلبـي ... وفـي نغَـم الحيـاة أنـا الخبيـرُ
وقـد غنَّيـتُ فـي الأغـصان حتَّـى ... تَـصيحَ الطَّيـرُ: مـن ذا؟ يـا زهـورُ!

-٦٥-

أثـرتُ بنغمتـي كـلَّ النـوادي ... ومـن شـرَرِ الحيـاةِ جَعلـتُ زادِي

أضـــاء القلـــبُ مـــن عقلـــي ولكـــنْ جعلـــتُ عيـــار عقلـــي فـــي فـــؤادي

-٦٦-

رددتُ العُجـــم فتيانـــاً بزمـــري وراجَ متـــاعُهُم مـــن بعـــد خُـــسرِ
وكـــانوا هـــائمين بكـــلِّ وادٍ وقافلـــة نظمـــتهم بـــشعري

-٦٧-

بـــروحِ العُجـــمِ مـــنْ نَغَمـــي شـــرار قرعـــتُ لهـــم بأجراســـي فـــسارُوا
وعاليـــتُ الحـــداء لهـــم كعُرْفـــي [1] تباطـــأ محمـــلٌ ونـــأت ديـــارُ

-٦٨-

نفثـــتُ النَّـــار مِـــن روحـــي نفثـــتُ وصـــدرَ الـــشَّرق قلبـــاً قـــد وَهَبْـــتُ
وصـــيَّر طينَـــه لهبـــاً نُـــواحي كبـــرقٍ فـــي ســـجاياه نَفَـــذْتُ

-٦٩-

بأغـــصانِ الرَّجـــاء جنيـــتُ أكـــلاً وأفـــضى الـــدَّهر بالـــسرِّ المنيـــع
أرامـــيّ اخـــشَ للبـــستان ريَّـــاً فـــإن معـــي رســـالات الرَّبيـــع

-٧٠-

بحـــار العُجـــم لـــيس لهـــا قـــرارُ وفـــي أحـــشائها دُررٌ كبـــارُ
ولكـــن لا أحـــبُّ ركـــوبَ بحـــرٍ إذا لـــم يُخـــشَ فـــي مـــوجٍ خطـــارُ

---

(١) إشارة إلى بيت عرفي الشيرازي:

نوارا تلخ ترمي زن جو ذوق نغمه كما يأبى حدى راتيز ترمي خوان چون محمل راكران بيني.

-٧١-

على دُنيـاك تقـضي بـالهوانِ وسـترّ لمغيَّـب كـلُّ آن
فـأحْكم يومَـك المـشهودَ واعلـمْ بـأنَّ غـدا ضـميرٌ فـي الزمـانِ

-٧٢-

كَرِهْـتَ سـيادةَ الإفـرنج لكـن سـجُودُكُ للقبـابِ وللقبـورِ
ألفـتَ عبـادةَ الـسَّادات حتَّـى لتنحـتُ سـادةً لـك مـن صـخورِ

-٧٣-

إلام تعـيش فـي ربِّ الإهـاب؟ إلام تعـيش نمـلاً فـي تـرابِ؟
فَطِـر كالـصَّقر معتزمـاً وحلِّـق إلامَ أسـيرُ حـبِّ فـي اليبـابِ؟

-٧٤-

اتخـذ فـي الـوردِ والأزهـار عـشاً ومِـن طيـرٍ دروسـاً فـي انتحـاب
وإنْ يـنقصْ قُـواك الـشيبُ فاؤخُـذ مـن الـدُّنيا نـصيباً مـن شـباب

-٧٥-

أهـابَ بمـسمعيّ تُـراب قبـرٍ: وتحـت الأرض يُمكـن أن يُعاشـا
لـه نَفَـسٌ ولـيس لديـه روحٌ ذليـلٌ فـي مُـرادِ سـواه عاشـا

-٧٦-

سـماطي لـيسَ فيـه مـا يـروقُ ولا فـي الكـأس لألأتُ الرَّحيـق
غزالـي يغتـذي عُـشب المَـوامي ولكـن صـدرُه مـسكٌ فتِيـق

-٧٧-

قُلــوبُ المــسلمين قبــسن نــاري ودمعــي مــن عيــونهمُ هَتــونُ
بِرُوحــي مَحْــشر قــد غــابَ عــنهم فلــم تــر مــا رأيــتُ لهــم عيــونُ

-٧٨-

أرى للعــشق تــصريفاً عجيبــاً يقلــب كيــف مــا يهــوى القلــوب
رمــاك بــأدْمعٍ وســباكَ نفــساً وصــيَّرني إلــى نفــسي قريبــا

-٧٩-

رأيتــك لا تــزالُ أســير طــينٍ إلــى تُــركٍ وأفغــانٍ تُــردُّ
أنــا بــشرٌ بــلا لــونٍ وريــح وللتــوران أو للهنــد بعــدُ

-٨٠-

أثــار الــشِّعرُ فــي جنبــيَّ نــارا ورَدَّ التُّــراب فــي طُرقــي شَــرارا
حــديثَ الحــبِّ حاوَلَــهُ لــساني فــزاد الــسرَّ تبيــاني سِــرارا

-٨١-

تــولَّى بعــدُ عــن عقــل الفنــون وأدمــى قلبــه عِــشقُ الــشُّجونِ
فــلا تــستفتِ إقبــالا لــشيءٍ فــإنَّ حكيمنــا رَهْــنُ الجنــونِ

***

القسم الثاني

أفكار

الوزدةُ الأولى

لا أرى في المُروجِ لي من قريع ... أنا أولى زهورِ هذا الرَّبيع
أبتغي في الغدير صورة نفسي ... لأرى وجهَ مؤنسٍ لي سميع
في سُطوري رسالةٌ بيراع ... خطَّ سطر الحياة في ترصيع
أمس قلبي، وعبرةُ اليوم عيني، ... وغدي مُنيتي وكلُّ بديع
وأنا النَّجمُ خلَّفته الثُّريا ... نَسج التُّربُ ثوبَ وردٍ عليَّ

***

دعاء

أيا مالئاً كاسي بحانةِ فِطرتي ... أذبْ طينَ كأسي من حرارة خمرتي
وصِّير أنيني ثروة العشق واجعَلن ... تراباً بسينائي تسعِّر شُعلة
إذا متُّ فاجعلني سِراجَ شقيقةٍ [1] ... وبالبيدِ أحرقني وزد نار وسْمتي

***

(١) يعني: زهرة من الشقائق.

رائحةُ الورد

وحوراءَ في الخُلد ضاقت فقالتْ : «جَهلنا بما تحتنا مِنْ جهاتِ
يحيّر عقلي نهارٌ وليلٌ وما قيل عن مَولدٍ أو ممات
غَدَت ريحَ وردٍ وذرّت بغُصنٍ فحلّت بعالم ماضٍ وآت
وتفتّح عيناً وتبسّم كمّاً وبعد نماءٍ هَوت في شتات
لهذي الطليقة لم تبق ذكرى سوى آهةٍ سمّت بالشّذاةِ [1]

***

نشيد الوقت

قد أحاطَ الشّمسَ حِجري وحوى الأنجم صَدْري
أنا لا شيء ولكنْ فيكُم روحي تسري
أنا في دُورٍ وقفرٍ أنا في كوخٍ وقصرِ
أنا داءٌ ودواءٌ وأنا عيشةٌ يُسر
أنا سيفُ الدَّوران [2] أنا عَينِ الحيوَان [3]
إنَّ جنكيزَ وتيمو رَ قليلٌ من غُباري
ثورةٌ الإفرنج فيها نَفثاتٌ من شراري
إنما الإنسان والدُّنيا نُقوشي وابتكاري
ودماءٌ مِن قلوبٍ في ربيع كالبُهار

---

(١) الشذاة: الرائحة.

(٢) دوران الفلك.

(٣) ينبوع الحياة، وعين الحياة في الأساطير شرب منها الخضر، فلم يمت.

أنـــا لَفْـــحُ النّيـــران أنـــا رَوض الرِّضـــوان
أنـــا ســـيَّارٌ مقـــيمٌ إنّ هـــذا الأمـــر إمـــرُ
إنّ فـــي خمـــرةِ يـــومي مـــن غـــدٍ يظهـــر سِـــرُّ
ألـــفُ كـــونٍ، فانظُرَنْهـــا فـــي ضـــميري تستَـــسرُّ
ونجـــومٌ فـــي حبـــاك وقبـــابٌ فـــيّ خُـــضرُ
أنـــا ثـــوبُ الإنـــسان أنـــا ســـرُّ الـــرحمن
سِـــرِّيَ التَّقـــديرُ والتـــ ـــد بيـــر مـــنْ ســـحرِ فنونِـــكْ
أنـــت مجنـــونٌ بليلـــى أنـــا صـــحراءُ جنونـــك
أنـــا كـــالرُّوح بَـــرِّي مـــن خيـــالات ظنونـــك
أنـــت فـــي جـــوفي ســـرٌّ وأنـــا ســـرُّ شُـــؤونك
أنـــا حـــادٍ أنـــتَ نُـــزُلٌ أنـــا حَقْـــلٌ أنـــتَ حاصـــل
أنـــت فيّـــاضٌ بلحـــنٍ أنـــت نـــار فـــي المحافـــل
يـــا أســـير الطِّـــينَ فكِّـــر أنـــت عـــنْ قلبـــكَ غافـــل
انظرنـــه مـــلءَ كـــأسٍ وهـــو بحـــرٌ دون ســـاحل
إنَّ موجـــاً فيـــك يعلـــو منـــه يبـــدو طوفـــاني

***

الرَّبيع

-١-

هلـــمَّ فـــإنَّ ســـحاب الربيـــع يخـــيِّم فـــوق الرُّبـــى والوهـــاد
وشَدْو العَنادلِ في كلِّ وادِ
هلـــمَّ فـــإنَّ ســـحاب الربيـــع يخـــيِّم فـــوق الرُّبـــى والوِهـــاد

-٢-

هلـــمَّ فمـــلءُ الرُّبـــى والـــسُّهولِ قوافـــلُ أزهـــاره والـــوُرودِ
نسيمُ الرَّبيع على كلِّ عودِ
هلـــمَّ فمـــلء الرُّبـــى والـــسهولِ قَوافـــل أزهـــاره والـــورودِ

-٣-

صـــفيرُ البلابـــل مـــلءُ الجِـــواد وصـــوتُ الـصَّلاصلِ مـلءُ النَّسيم [٢]
دمُ المرج في جوفه كالحَميمْ
صـــفيرُ البلابـــلِ مـــلءُ الجِـــواء وصـــوتُ الـصَّلاصل مـلءُ النَّسيم

-٤-

دعِ الـدُّورَ واطلـبْ فـسيح البـراري وانظـــر إلـــى صـــفحات الجمـــال
على حافة الماء دونَ ملالِ
دعِ الـدورَ واطلـبْ فـسيح البـراري وانظـــر إلـــى صـــفحات الجمـــال

---

(١) شقائق النعمان.

(٢) الصلصل: الفاختة، أو طائر يشبهها، والكلمة نفسها في شعر إقبال.

-٥-

وعَـــينَ البـــصيرة فـــانظر بهـــا أيـــا غـــافلاً عـــن عيـــان الخَلْـــقِ !

شقيقٌ بدا حَلَقاً في حلَق

وعـــينَ البـــصيرة فـــانظر بهـــا أيـــا غـــافلا عـــن عيـــان الخَلـــقِ

-٦-

ثـــرى المـــرجِ صـــرَّح فـــي هَيْجـــه بمـــا أضـــمرتْ مُهَـــجُ الكائنـــاتِ

فَناءُ الصفات وكونُ الصفاتِ

ثـــرى المـــرجِ صـــرَّح فـــي هَيجِـــه بمـــا أضـــمرت مهـــجُ الكائنـــاتِ

***

الحياةُ الخالدة

لا تظـــنَّ الخمَّـــارَ وافـــى ختامـــاً كَـمْ مِـنَ الـرَّاح فـي عُـروق الكـروم !

يجمُـــل المـــرحُ لا بثـــوبِ حيـــاةٍ مزَّقتـــــه النَّـــــسيمُ كـــــالبُرعوم

مـنْ يُحـط بالحيـاة لـم يـرض قلبـاً لـــم تَخِـــزْه المنـــى بـــشوكٍ أَلـــيمِ

مُحكمـاً كالجبـال عـشْ، لا ضـعيفاً واهـــنَ النَّـــار طائـــشاً كالهـــشيم

***

(١) يشبه النّدى على الشقيق بالأنجم في الشفق.

أفكار النجوم

سَمِعتُ بكوكبٍ لأخيه يشكو : لنا بحرٌ وليس يَلوحُ ساحلُ
خُلقنا للمسير بلا وقوفٍ فليس لركبنا أبداً مَنازلُ

***

فإنْ تمض النجوم كما نراها فما جَدوى العَناء؟ ومَا نُفيدُ؟
بأشراك الزَّمان لنا إسارٌ سعيدٌ مَنْ يُجانبه الوُجود

***

لَهذا العبءُ محملهُ شديدُ فليتَ وجودَنا عَدَمٌ أبيدُ
كرهتُ القبَّة الزرقاء أوجاً حضيضُ التُّربِ خيرٌ لو نريدُ [1]

***

فطوبى لأبي آدم في طعانٍ قد استولى على طرف الزَّمان
خليقٌ بالحياة لهُ قوامٌ يُجدَّد أو يُخلَّق كلَّ آن

***

الحياة

بكى في الظَّلام سحابُ الرَّبيع فقال : الحياة بكاءٌ مديدْ
فقال لهُ البرُّ في ومضه : هل الضِّحكُ في لمحة ؟ لا تزيد
فمن أبلغَ الروضَ هذا الحديث فصَار حوارَ النَّدى والورودْ ؟

---

(١) لو كان لنا إرادة واختيار.

محاورة العلم والعِشق

العلم:

أنـــا ســـرُّ الكواكـــب والجهـــات ... وفـــي قيـــدي ثـــوى مـــاضٍ وآت
وعينـــي حـــدَّقت فيمـــا أمـــامي ... ومـــا نظـــري وراء الـــسَّابحات ؟
وكـــم نغَّمـــتُ فـــي عُـــودي وبـــوقي ... وأســـراري عرَّضـــتُ بكـــلِّ ســـوق

العشق:

بـــسحركَ سُـــجِّرت هـــذي البحـــارُ ... ومـــلءُ الجـــوِّ سَـــمُّك والـــشرار
وكنـــتَ لـــي الـــصديق فكنـــت نـــوراً ... ونـــورك مـــذ هَجَـــرتَ حمـــاري نـــارُ
وُلـــدتُ الأمـــس فيحـــرم الـــرحيم ... وصـــرْتُ اليـــوم فـــي قيـــد الـــرجيم
هلـــمَّ فَـــرُدَّ روضـــاً ذا اليبابـــا ... ورُدَّ مَـــشيبَ دُنيانَـــا شَـــبابا
هلُـــمَّ بـــذرّةٍ مِـــن نـــار قلبـــي ... أقـــم فـــي الأرض فردوســـاً عُجابـــا
كلانـــا الـــدَّهرَ خـــلٌّ لا يجـــورُ ... للحـــنِ واحـــدٍ بـــمَ وزيـــرْ

***

غناءُ النجوم

وجودُنـــــا نظامُنـــــا ... وسُـــــكرنا انـــــسجامُنا
فـــــي دَورنـــــا دوامُنـــــا ... لا يُرتجـــــى مقامُنـــــا
فـــــي فلـــــكٍ مرامنـــــا ... ننظـــــر ســـــائراتِ
وجلـــــوةَ الـــــشهودِ ... ومظهـــــرَ البـــــدود [1]

(١) جمع بد، وهو الصنم، معرب بت.

ومعـــــــرَكُ الوجـــــــودِ والعـــــــدمِ والموجـــــــودِ
والغَيـــــــب والمـــــــشهودِ ننظـــــــر ســـــــائراتِ
وحَلبـــــــةَ الطِّعـــــــانِ ونـــــــشأةَ الـــــــشُّجعانِ
وغِيـــــــرَ التيجـــــــانِ وذِلَّـــــــةَ الـــــــسُّلطانِ
ولعـــــــبَ الزَّمـــــــانِ ننظـــــــر ســـــــائراتِ
مـــــضى زمـــــان المـــــولى والعبـــــدُ قـــــد تـــــولَّى
سِـــــكندرُ قـــــد ولَّـــــى وقيـــــصرُ قـــــد ذلاَّ
والـــــوثنُ اضـــــمَحلاَّ ننظـــــر ســـــائراتِ
والـــــصمتَ والـــــصياحا والـــــذُّلَّ والكفاحـــــا
والخنْـــــعَ والطماحـــــا وتـــــارةً أفراحـــــا
وتـــــارة أتراحـــــا ننظـــــر ســـــائرات
عقلُـــــك فـــــي عَقـــــدٍ وَحـــــلّ مِـــــن كـــــمْ وكيـــــف فـــــي شُـــــغُل
مثـــــل غـــــزال قـــــد عُقِـــــل مـــــضطربٌ ومـــــضمحل
ونحـــــنُ فـــــي العليـــــا نحـــــلّ ننظـــــر ســـــائراتِ

***

مـــــا الـــــسرُّ مـــــا الظهـــــور؟ ومـــــا الـــــدُّجى مـــــا النُّـــــورُ؟
مـــــا القلـــــبُ مـــــا الـــــشعورُ؟ مـــــا فطـــــرةٌ ضـــــجورُ؟
مـــــا الغيـــــبُ والحـــــضورُ؟ ننظـــــر ســـــائراتِ
كُفـــــركَ عنـــــدنا أمـــــمُ حولـــــك عنـــــدنا لمـــــمُ
يـــــا مـــــن بـــــصدرِه خـــــضمُ قنعـــــتَ بالظِّـــــل انـــــسجم
نحـــــنُ بعـــــالمٍ نهـــــمُّ ننظـــــرُ ســـــائراتِ

نسيمُ الصُّبح

أجـــيء مـــن لـــجِّ بَحـــرِ ... ومـــن قـــلال الجبـــال
مُـــسِّيراً لـــست أدري ... مـــن أيـــن شُـــدَّت رحـــالي
أُزجـــي لِطـــائر غـــمٍّ ... بـــشرى ربيـــعِ الجمـــالِ
ونـــاثراً تحـــت عُـــشٍّ ... نِثَـــارَ زَهـــرٍ غَـــوالِ
بخُـــضرة أتـــرَدَّى ... وبالـــشقيق اتـــصالي
حتَّـــى يهـــجَّ فيـــه ... لونـــاً وريحـــاً وصـــالي
يمـــسُّ أوراق وردٍ ... تلطُّفـــي واحتيـــالي
فـــلا تميـــلُ غـــصونٌ ... مـــن طـــوفيَ المتـــوالي
وشـــاعرٍ هيَّجَتـــهُ ... همـــومُ عِـــشقٍ لقـــالِ
مزجـــتْ أنفـــاس صـــدري ... بلحنـــه والمقـــالِ

***

نصيحة صقر لفرخه

تعلَّـــم بنـــيَّ بـــأنَّ الـــصُّقورْ ... لهـــا قلـــبُ ليـــثٍ وجـــسمٌ صـــغير
فكـــنْ مُحْكَـــم الـــرأي شـــهماً جـــسوراً ... علـــيَّ الـــسجايا أبيـــاً غيـــورا
بُغـــاث الطيـــور اهجرنهـــا بعيـــدا ... ودعهـــا إذا لـــم تُـــرد أن تـــصيدا
فتلـــكَ الرعاديـــدُ نـــسلُ اللئـــام ... تـــدسُّ مناقيرهـــا فـــي الرَّغـــامْ
أرى البـــاز صـــيداً لمـــا اصـــطاده ... إذا قلَّـــد الـــصيد مـــا اعتـــاده [1]

---

(١) يعني: إن قلد الصقرُ الطيور الضعيفة التي يصطادها في عاداتها كان هو صيداً لها مغلوبا على أمره.

فكم باشقٍ قد أتاه النَّوى ... بصحبةِ لقَّاطِ حبِّ هوى
فنفسكَ فافحظ وعِشْ في جذل ... جريئاً متيناً قويَّ العضل
ودَعْ للدَّراريج لينَ الجسد [1] ... وكن مخلباً كالمُدى أو أحد
متاعُ الحياة- تعلَّم- جهادُ ... وصبرٌ على محنةٍ واجتهادُ
نقول لفرخ عقابٍ عتيق: ... «بريق الدِّماء يفوق العقيق»
ولا تبغ سِرْباً كسِرب الغنم ... توحَّدْ كقومك منذ القدم
سمعتُ وصاة الصَّقور العتاق ... بألا نقيم بظلٍّ وساق
فليس لنا في رياضٍ مجال ... فسيحُ الفيافي لنا والجبال
ولقطك حبّاً بأرض خطاء ... حبانا الإله عنانَ السَّماء
فأمَّا خطى في التُّراب النجيب [2] ... فأشرف منه حمام ريب
فإنَّ بساطَ البزاة الحجر ... يحدُّ مخالبهنَّ الصَّخر
نماك الأوابدُ زرق العيون ... كأنك عنقاء جوٍّ متين
أصيلٌ أبيٌّ بيوم الخطر ... كفيتَ بإنسان عين النَّمر
جناحُك من سَطَوات البروق ... من الشُّهب فيك كزيمُ العروق [3]
فَطِر في السموات لا تخشَ خطبا ... وكلْ ما أصبتَ يبساً ورطبا
ولا تقبلنَّ طُعمةً من أحد ... وكنْ راشداً واستمع للرَّشد

---

(١) دراريج: جمع دراج وهو طائر معروف.
(٢) يعني: الصقر ونحوه، وكلمة النجيب في الأصل.
(٣) الشهب: أي البيض، وفيها تورية بشهب السماء.

سوس الكتب

(الأرضة)

سمعتُ: بمكتبي ليلةً ... يُنادي الفراشة سُوسُ الكتاب
يقول مررتُ بكتْب ابن سينا ... ونقَّبتُ في كتُبِ الفَارابي
ولم أدر حكمة هذي الحياة ... وما زلت من ظُلمتي في حجابِ
تُجيبُ الفراشةُ في حُرقةٍ : ... أرى نكتةً لا تُرى في كتابِ
رأيتُ الكفاحَ يُعدُّ الحياة ... رأيت الكفاحَ يُمدُّ الحياة
نارٌ بِصَدرِ عِشْقِ ... في أزلٍ أنيرُ
شمساً أُرى وفي كلّ ... ذرَّة اثور
شرارَها من ناري ... السماءُ تستعير
حللتُ صَدْرَ مَرجِ ... كنفيس أدورُ
وكالنَّدى من تُرابيَ ... غُصنٌ بدا نضيرُ
قال: قفي قليلاً ... ولهبي يغورُ
وما ثواء قلبٍ ... من أَلَم يسيرُ ؟
ثوى بضيق غُصنٍ ... في قلقٍ يفور
حتّى كُسيتُ لوناً ... وعبقَ العبير
رش الندى طريقي بلؤلؤ ينير ... والصبح لي ضحوك وبي الصبا تدور
حكى لعندليب ورد له نضير ... أني سلبت ناري وخمد السعير
فقال في نواح: كم أغلى الظهور ... أحمل من شمس تشع في ضلوعي
فهل - وليت شعري - ... للنار من رجوع

الحكمة والشعر

ابـــن ســـينا فـــي غبـــار حـــائر ويـــد الرومـــي فـــي ســـتر الحبيـــب
غـــاص هـــذا يجتبـــي دراً وذا كغثـــاء دار فـــي اللـــج المهيـــب
إن حقـــاً دون نـــار حكمـــة وهـــو شـــعر إن يـــصب نـــار القلـــوب

اليراعة

وذرة حقيـــرة قـــد جمعـــت قواهـــا كأنهـــا فراشـــة مـــن حـــرق تـــصلاها
قد نورت دجاها
فهـي آيـة خلقـت وانعقـدت شـرارا مـن حرقـة فـي قلبهـا تحولـت نـضارا
وبصرا نظارا
فراشـــــةٌ فـــــي قلـــــقٍ تطيـــــرُ كـــــلَّ ناحيـــــه
علـــــى اللهيـــــب رفرفـــــت حتـــــى كأنـــــه هيَـــــه
أنا وأنت قاليه [1]
أو كوكـــــبٌ فـــــي صـــــدره مُـــــستترُ الـــــضياءِ
وقـــــد تـــــدلّى هابطـــــاً فـــــي الأرض لاجـــــتلاءِ
من فلك السَّماءِ
أو قمـــــر مـــــصغّرٌ بجلـــــوةٍ تمـــــامُ
فمنّـــــةُ الـــــشمس علـــــى شُـــــعاعه حـــــرامُ
لم يحوه مُقام
يـــا لـــك مـــن يراعـــة تـــصوَّرت مـــن نـــورِ

(١) يعني: تحبُّ الوحدة وتكره التَّعدد؛ الذي يقال فيه: أنا وأنت.

مَـــــــــسيرهما سِلْـــــــــسِلَ ـــــــةُ الغيـــــابِ والحـــــضورِ

وسنَّة الظهور

يـــــا مـــــشعلاً للطيـــــر فـــــي معتكـــــــــــر الظَّـــــــــلام

مـــــا حُرقـــــة أحســـــستها فأنـــــت فـــــي هُيـــــام ؟

حرارةُ الإقدام

نحـــــن – وقـــــد نبـــــتنا مثلـــــك مـــــن تـــــراب –

نجهـــــل فـــــي اضـــــطرابٍ نبـــــصر فـــــي اضـــــطراب

نُخفق في الطِّلاب

أقـــــــولُ قـــــــول واعٍ مجـــــــرب شـــــــفيق:

لا تـــــــسعين لنُـــــــزلٍ وامـــــضِ علـــــى الطَّريـــــق

وارضَ بذا التوفيقِ

***

الحقيقة

تقـــول لبطـــةٍ صَـــحبت عُقـــاب : أرى مـــا أدركـــتْ عينـــي ســـرابا

أجابتهـــا محـــاورةً بحـــق ولكنـــي أرى مـــاءً عُبابـــا

فقـــال الحـــوتُ فـــي لُـــجٍّ عميـــق : هنـــا شـــيءٌ ويـــضطرب اضـــطرابا

***

حداء

نغمةُ حادي الحجاز

يا ناقتي الخطَّاره

حُثّـــي الخطـــى قلـــيلاً منزلنـــا قريـــبُ

مطربةُ الرُّغاء

حُثّـــي الخطـــى قلـــيلاً منزلنـــا قريـــبُ

كم غُصتِ في السَّراب

حُثّـــي الخطـــى قلـــيلاً منزلُنـــا قريـــب

قطعةُ غيمٍ غادي

حُثّـــي الخطـــى قلـــيلاً منزلُنـــا قريـــب

هيامكِ الزِّمام

حُثّـــي الخطـــى قلـــيلاً منزلُنـــا قريـــب

ممسيةٌ في اليمنِ

حُثّـــي الخطـــى قلـــيلاً منزلُنـــا قريـــب

بدر السماء نَعسا

حُثّـــي الخطـــى قلـــيلاً منزلُنـــا قريـــب

لحني دواءُ السَّقم

حُثّـــي الخطـــى قلـــيلاً منزلُنـــا قريـــب

***

بين الله والإنسان

خَلَقتُ الأنام لطينٍ وماء ... خلقتُ تتاراً وزنجاً وفُرسا
خلقتُ من التُّرب هذا الحديد ... وسهما خلقت وسيفا وتُرسا
وفأسا خلقت لجذعٍ وغُصنِ ... وسجناً صنعتَ لطير مغنّي

الإنسان:

خلقتَ الظَّلام فصُغتُ السِّراج ... وطيناً خلقتَ فصُغتُ الكؤوسا
خلقتَ جبالاً وبيداً ومرجاً ... خلقتُ حدائقها والغروسا
أنا منْ حجارٍ صنعتُ مرايا ... أنا مِن سمومٍ صنعت دوايا

***

اليراعة

تقولُ يراعةٌ : لا تحسبنّي ... كنَملِ السُّوء يألمني رفيقي
ولا أعشو إلى نيران غيري ... كما يهفو الفزاش على الحَريقِ
إذا حلَت الظلامُ كعين ظبيٍ ... أنرتُ بنورِ أضلاعي طريقي

***

وَحْدة

قد قلتُ للبحر يوماً ... في موجه المتعالي
أراك حلف طلابٍ ... فما تكنُّ ببالِ ؟
وكَم حويتَ بصدرٍ ... من لامعات اللآلي
أفيكَ مثْليَ صدرٌ ... بجوهر القلبِ حالي ؟

فصدَّ عنِّي بجَزرٍ ... ولم يردَّ سؤالي
وقلتُ للطود يوماً : ... يا خالياً من عَناء
أنال سَمْعَكَ صوتٌ ... من زفرةٍ وبُكاء
إن كنتَ تحوي عقيقا ... به عروقُ دِماء
فواسني بحديثٍ ... إنِّي حليفُ شقاء
فصدَّ عنِّي صَموتا ... ولم يردَّ سؤالي
جددتُ في السير حتَّى ... أتيتُ بدرَ السَّماء
فقُلتُ: يا نضو سيرٍ ... إلى متى في مَضاء
الأرضُ مرجُ زهورٍ ... من نورك اللألاء
أخلفَ نورك قلبٌ ... في حرقةٍ وعناءِ
رأى الكوكبَ ترنو ... فلم يردَّ سؤالي
وقُلتُ لله ربِّي ... من بعد طوف البريَّة :
أما بدنياكَ هَذي ... منْ ذرَّة لي نجيَّة ؟
أكلُّ طينيَ قلبٌ ... وذي البرايا خليَّة
طابتْ مُروجٌ ولكنْ ... ليست بشدوى حريه
أجابني بابتسامٍ ... ولم يردَّ سؤالي

***

قطرةُ النَّدى

قـــد قيـــل لـــي تـــدلَّى مـــن فَلـــك الـــدَّراري
واســـتحكمي وســـيري للبحـــرِ ذي التَّيَّـــارِ
في الموجِ لا تحاري
فمـــا رضـــيتُ بحـــراً لـــصُحبتي بحـــالِ
عفـــتُ احتـــساءَ راحٍ تَـــسلُبني خلالـــي
ما ضقتُ من خصالي
الـــورد لـــي ســـؤول: مـــا خطـــبُ طيـــر الـــسَّحرِ
وما جهاتُ النَّظرِ ؟
مـــا نحـــن فـــي اصـــطحاب ؟ مـــن نحـــنُ يـــا وُدودُ ؟
مـــا طـــائري المغنـــيّ رجَّحـــه الأملـــود ؟
ما يقصدُ الغرِّيد ؟
فقُلـــتُ : المُـــروجُ حـــر بُ الحيـــاة فـــي الآفـــاق
حَفـــلٌ لـــهُ نظَـــام مـــنْ لـــذَّة الفـــراقِ
الرُّوحُ منْ إشراقِ
مِـــن فلـــكٍ هُبـــوطي مـــن طينـــةٍ فتقـــتِ
مِـــن لـــذة التجلِّـــي نمـــوتِ إذ أشـــرقتِ
في الغُصنِ قَد خفَقْتِ
الـــدَّهرُ فـــي اخـــضِرار مـــنْ دَمْعِنـــا فـــي الـــسَّحَرِ
وذي الجهـــات طـــرَّاً خِـــداعُنا فـــي النَّظـــر

بالصَّدر سربُ الزُّهُر [١]

في ثـــوب وردٍ إبـــرُ ... مـــن شـــوكة تـــصول
شـــوكٌ، أجـــلْ، ولكـــن ... نادمـــــه الجميـــل
مـــنْ عـــشقهِ نحيـــلُ ... وعنـــده الخليـــلُ

في روضهِ أصيل

القَلـــبَ أخلينـــه ... مـــن صُـــحبَةِ الـــدُّهورِ
عينـــك فافتحَنْهَـــا ... للكوكـــب المنيـــر
وصـــحبةِ البـــصير ... مثلـــي هلُـــمَّ طيـــري

وفي الفلكِ الكبيرِ

***

العشق

فكـــري قـــد أجـــدَّ كـــلَّ ســـيرِ ... وطـــافَ بـــين حـــرمٍ ودَيـــرِ
عـــدتُ للطـــلاب فـــي البَـــراري ... مرتـــديا بـــالنَّقعِ كالإعـــصارِ
بغيـــرِ خـــضرٍ أطلُـــبُ المنـــازل [٢] ... يحمـــلُ رحلـــي للخيـــالِ كاهـــلُ
تطلُـــبُ راحـــاً كأســـيَ الحطـــيمُ ... كالـــصُّبح مـــن شـــباكهِ النَّـــسيمُ
منطويـــاً كـــالمَوجِ فـــي البحـــارِ ... حيـــران كالإعـــصار فـــي الـــصّحاري
عـــشقُكَ فَـــاضَ بغتـــةً بقلبـــي ... وحـــلَّ كـــلَّ عُقـــدةٍ فـــي لبِّـــي
عرَّفنـــي الوُجـــودَ والفَنـــاء ... وصـــار ديـــري حَرمـــاً وضَّـــاء

(١) الزُّهُر : النُّجوم.
(٢) بغير دليل، كما دل الخضر الإسكندر.

oberkan.com

على حَصيدي مرَّ كالبُروق [1] عرَّفني لَذاذةَ الحريقِ
صُعِقتُ تواً وسُلبتُ حِسّي فُصِلتُ من نفسيَ مثلَ العَكسِ [2]
رَفعتُ للعَرشِ العليِّ تُربي بالسرِّ قَدْ أفْشَيته لِقَلبي
وبلَغت سَفينتيَ مُرسَاهَا وفاضَ قُبحي رونقاً وتَاهَا
عندي حديثُ العِشق لا سِواه لا أحملُ الملامَ في بَلواهُ
غنيتُ عَنْ وَمضِ العُلومِ حَسبي خفقي ونَاري ودُموعُ الحبِّ

***

حياتَك فابغِ في الخطر الجليل

غزالٌ بثَّ شكواه غَزالا فَقال سأقصُدُ البلَد الحرامَا
أرى الصَّيَّاد حولي كلَّ حينٍ فلا أستطيعُ في أرضٍ مُقامَا
أبدِّل خيفةَ الصَّيَّاد أمنا وأنفي الغمَّ عن قلبي المعنَّى
أجابَ رفيقُه أن يا خَليلي حيَاتَك فابغِ في الخَطرِ الجَليل
ونفْسَكَ فاشحذنْ فِي كلِّ آنٍ وعش أمضَي من السيف اليمَاني
ففي الأخطار للهِمَمِ اختبارُ لأرواحٍ وأجسادٍ عيارُ

***

(١) يكثر في الشعر الفارسي ذكر إحراق البرق البيدر، ويكنى به الصوفية عن قطع العشق علائق الإنسان بالدُّنيا.

(٢) العكس: الصورة. والكلمة نفسها في الأصل.

الحياة

قد سألنا عن الحياةِ حكيماً ... قال : خمرٌ يطيبُ فيها الأمرُ
قُلتُ : بل دُودةٌ نمت في تُرابٍ ... قال : لا ! بل سَمَندرٌ لا يقرُّ [1]
قلتُ : والشر طبعها. قال : لا بل ... خيرها قد جهلتَ والجهلُ شرُّ
قُلتُ : ما شوقها يسيرُ لنُزلٍ ... قال : في الشوقِ منزل مستسرُّ
قُلتُ : في الطين خلقُها قال فانظُر : ... شقّت الطين حبّةٌ فهي زهرُ

***

الحور والشاعر

(معارضة لقصيدة الحور والشاعر لجوته)

الحور:

لا الخمرُ يوماً تطيبُ لكَ ... ولا إلينا أنتَ ناظرُ
إنّي عَجبتُ لشاعرٍ ... بهوى الأحبةِ غيرِ شاعرِ
مِن حُرِّ أبغامِ الرَّجاء ... وحُرقةِ الطَّلب المثابر
نَفسٌ تذيبُ بلوعةٍ ... وتغزُّلٌ يشجو المزاهرِ
وخلقتَ بالألحان دنيا ... كَ العجيبةَ خَلْقَ شاعرِ
تبدو لها إرَمُ كما ... يبدو لعينٍ فِعلُ ساحرِ

---

(١) السَّمندر: حيوان خرافي يعيش في النَّار.

الشاعر:

تَخْـــدَعَنْ قلـــبَ مـــسافرٍ ... بالـسِّحرِ مـن وخَـزات قائـلِ
مـــا إنْ تحـــاكي لـــذَّةً ... وخـزاتِ شـوكٍ فـي المجاهـلِ
مـــاذا أقـــولُ وفطرتـــي ... لا تَرتـــضي دَعـــة المنـــازلِ
قلبـــي علـــى قلـــقٍ كمـــا ... تهفـــو الـــصَّبا حـــولَ الخمائـــلِ
فـــإذا نظـــرتُ إلـــى جميـــلٍ ... رائـــعٍ حلـــوِ الـــشَّمائلِ
خَفـــقَ الفـــؤادُ إلـــى الـــذي ... يعلـــوه حـــسناً فـــي المحافـــلِ
فمـــنَ الـــشرار إلـــى النُّجـــوم ... إلـــى الـــشُّموس رقـــيّ آمـــلِ
إنّـــي ليهلكنـــي القـــرارُ فمـــا ... أعـــوجُ علـــى المراحـــلِ
وإذا شـــربتُ مـــنَ الرَّبيـــع ... الكـــاس تـــسري فـــي المفاصـــلِ
أشـــدو بـــشعرٍ آخـــرٍ ... وربيعـــي الآتـــي أغـــازلُ
طلبـــي النهايـــةُ فـــي الـــذي ... لا ينتهـــي فيـــه المُـــسائلُ
لا صـــابرٌ نَظَـــري ولا ... قلبـــي عـــن الآمـــالِ غافـــلُ
تـــودي قلـــوبُ العاشـــقين ... بـــدارة الخلـــدِ المُوَاصـــلُ
لا صـــوتُ محـــزونٍ ولا ... ألَـــم ولا واسٍ يـــسائلُ

***

الحياةُ والعمل

(جواب لنظم هاتنا [١] المسمّى سؤالات)

يقـول الـساحل المـسكينُ : دهـراً حيـتُ ولـم يَـبِنْ لـي مـا أكـون ؟
فقـال المـوج فـي صـخبٍ وسـير : وجـودي الـسَّيرُ والعَـدمُ الـسُّكون

***

الملكُ لله

طـارقٌ أحـرق الـسَّفين فقـالوا لـيسَ هـذا مـن فعلـه برشـيد
غربـاءٌ ومـن لنـا برجـوعٍ ذا خطـارٌ فـي الـشرع غيـرُ سـديد
أمـسك الـسَّيفَ طـارقُ فـي ابتـسامٍ قـائلاً واثقـاً بعـزمٍ شـديد :
مُلكنـا اليـوم خالـصاً كـلُّ مُلـكٍ إنَّـه مُلـك ربِّنـا المعبـود

***

النهر [٢]

انظـر النهـر جاريـاً فـي هُيـامٍ بـين خُـضر المـروج مثـل المجـرَّه
كـان فـي المهـد فـي الـسَّحاب نؤومـاً شـاقه الـسَّير فـي مـروجٍ وخـضره
يبعـث اللحـنَ جاريـاً فـوق صـخرٍ صـافي اللَّـون فـي بهـاءٍ ونـضره

---

(١) هاتنا : شاعر ألماني.

(٢) ترجمة نظم جوته المسمّى نغمة محمد مع تصرفٍ كبير. وفي هذا النظم الذي كتب قبل «ديوان الغرب» بكثير أحسن الشاعر في بيان تصوير الإسلام للحياة، وقد أريد بهذا النظم أن يكون جزءا من قصة إسلامية لم تكمل. وإنما أردنا بهذه الترجمة أن نبين عن رأي لجوته فحسب.

يقصد البحر ذا العبابُ طروبا ... وعَزوفاً عن كلِّ شيءٍ غريبا
مَنحتْهُ يدُ الرَّبيع طريقاً ... من أقاحٍ ونرجسٍ وشقيقِ
يضحك الوردُ إن تلبَّث لدينا ... ويقول البرعوم : قف يا صديقي
وهو قالٍ عرائسَ المرج ماضٍ ... في الرُّبى الوهادِ غير رفيقِ
وعزوفاً عن كلّ شيءٍ غريبا ... يقصد البحرَ ذا العُباب طروبا
ومئات الأنهار في الحَزن والسَّهل ... تُناديه: يا فسيحَ المجالِ
قد حمانا المسيرَ قِلةُ ماءٍ ... فارحمنَّا من بغي هذي الرمالِ
أفسحِ الصَّدر للرِّياح سريعاً ... حاملاً رفقةً ضعاف الحالِ
يقصد البحرَ ذا العباب طروبا ... حاملا جوهرا كثيرا عجيبا
هَدر النَّهر جائزاً كلَّ سدِّ ... جاز ضيق السُّفوح والوديانِ
فاض سيلاً على رُبى ووهادِ ... جاز كلَّ المروجِ والبلدان
هائجاً زاخراً سريعاً منشوقاً ... بجديدٍ يمرُّ كلَّ زمان
يقصد البحر ذا العُباب طروبا ... وعزوفاً عن كلِّ شيءٍ غريبا

***

الجنَّة

وأين بجنَّةٍ لعب اللَّيالي ... وليس هناك من فلكٍ يدورُ
ولا فيها ليوسف غمُّ سجنٍ ... ولا فيها زُليخا تَستجيرُ
وليْسَ خَليلُها يصلَى بنارٍ ... ولا بكليمها شررٌ يثور
وليس لِصَرصر فيها هُبوبٌ ... فَزَوْرَقُها على أمنٍ يَسيرُ
ولا ليَقينها «هل» أو «عسى أن» ... ولا لِوِصَالها هجر مريرُ

وكيـــفَ يلـــذُّ عَقـــلٌ ذُو ضـــلالٍ إذا وَضـــحت طريـــقٌ لا تَجـــورُ
فـــلا تَحفـــل بكـــونٍ فيـــه نقـــصٌ بـــه المـــولى ولـــيس بـــه الغَـــرورُ

***

العِشْق

العقـــــلُ يُحـــــرقُ عالمـــــاً فـــــي جَلـــــوة منـــــه تُغيـــــرْ
لكنَّـــــه بالعِـــــشْقِ يعـــــرفُ كَيـــــفَ فـــــي الـــــدنيا يُنيـــــرْ
العِـــــشْقُ فـــــي الأرواح يخلـــــق كـــــلَّ لـــــونٍ أو يثيـــــرْ
إنّـــــي لأذكـــــر راقـــــصاً ذا الحـــــرف أو هـــــو بـــــي يـــــدور
بالعِـــــشْقِ ترتـــــاح القلـــــوبُ وإنَّـــــه فيهـــــا ســـــعيرْ
مـــــا كـــــل معنـــــىً ينطـــــوي فـــــي اللَّفـــــظ، كـــــم معنـــــى يثـــــور
أنـــــصت لقلبـــــك ســـــاعةً فلعلَّمـــــا يـــــدنو العـــــسير

***

لغزُ السَّيف

مـــا جاهـــدٌ يُنـــبطُ مـــاء الحجـــر لا يَهتـــدي بالخـــضْر كالإســـكندر ؟
كنظـــرِ العـــينِ صـــفيٌّ مـــشرقُ لا بلـــل وهـــو غريـــقُ نهـــر
مـــصراعه مكمَّـــل منفـــردُ لـــيس عليـــه منَّـــةٌ للأشـــطر

***

الجمهورية

تريد معنى العُلى من ساقطي همم ... وأين للنَّمل إقدام السُّليماني [١]

فاتبع حكيماً ودعْ جمهورَهم، أترى ... بألفِ رأسِ حمارٍ عقلَ إنسان؟

***

إلى داعية الإسلام

في بلاد الفرنج

الدَّهْرُ عادَ بنار نمرود ... جَوْهرُ الإسلام رَهنُ تجديد

هَلمَّ نُلق الحجابَ عن حُرَقٍ ... كالشَّمس تغشى الورى بتجريد [٢]

أمللتَ حُور الفرنج منْ حكمٍ ... ورُعتَ أصنامَهُم بتوحيد

فقل لأهل الحجاز عن سلمى ... وبثَّ في الترك شوق معمود

على خراسان والعراقَ فعج ... وردَّ للعُجمِ شوق تغريد [٣]

كم انتظرنا لعارفٍ، ولكم ... شجا «جمال»[٤] بلحنِ مفؤود

جعلتَ عشقاً حديث ذي هَوس ... نَثرتَ درَّ الكلام باليد

***

(١) نسبة إلى سليمان الحكيم، وقصته مع النمل معروفة.

(٢) أي بظهورها دون حجاب وفي الأصل بالعري.

(٣) خراسان والعراق من ألحان الموسيقا أيضاً.

(٤) جمال الدين الأفغاني.

غنّى الكشميريُّ [١]

غنّـــى أخـــو الـــشِّعر ربُّ البيـــان ... وبلبـــلُ كـــشميرَ ذاتِ الجنـــان
يفـــتِّح أبوابـــه إنْ نـــدر ... ويغلقهـــا جاهـــداً إنْ حـــضر [٢]
فقيـــل لـــه: يـــا أنـــيس القلـــوب ... عجبنـــا وفعلُـــكَ أمـــرٌ عجيـــب
فمـــاذا أجـــاب الهمـــامُ الفقيـــر ؟ ... فقيـــر بملـــك المعـــاني أميـــر:
أإخواننـــا مـــا رأيـــتم ســـداد ... أفـــي الـــدار غيـــري متـــاعٌ يـــراد ؟
إذا كـــان فـــي الـــدار ربُّ العـــرين ... غنَّـــى ففيهـــا متـــاعٌ ثمـــين
وإنْ غـــاب عنهـــا أنـــيسُ الـــورى ... فـــلا دارَ أفـــرغَ منهـــا تُـــرى

***

إلى مصطفى كمال باشا [٣]

حزيران (١٩٢٢م)

أمَّـــة كانـــت ومـــن حكمتهـــا ... نحـــنُ آثـــارٌ علـــى مـــرِّ العُـــصور
قـــد عرفنـــا ســـرَّ تقـــديرٍ مـــضى ... فمـــضينا نقتفـــي ســـرَّ الـــدهور
شـــرراً كنـــا، أجـــدنا نظـــراً ... فـــإذا شـــمسٌ علـــى الكـــونِ تـــسير
شـــيخاً أطفـــأ فـــي أحـــشائه ... نـــارَ عِـــشْقٍ فخنعنـــا فـــي فتـــور

---

(١) محمد طاهر الكشميري الشاعر المتوفى سنة ١٢٨٧هـ.

(٢) ندر: خرج وهي لغة الحجاز اليوم.

(٣) كان الشاعر معجبا بمصطفى كمال إعجابه بالعزم والإقدام، فلما رآه يقلد الفرنج عابه وقال: إن جديده قديمُ أوربة.

obeikandl.com

صرصـــر البيـــداء فـــي فطرتنـــا ... أذبلـتْ ريـحُ الـصَّبا فينـا الزُّهـور [١]
وعلـــى الأفـــلاك دوَّى صـــوتنا ... فاسـمعنه اليـوم فـي نَـوحِ الأسـير
رُبَّ صـــيدٍ قـــد أخـــذنا وثبـــةً ... دون إشـراكٍ كمـا انقـضَّت صـقور
وغـــدونا يوقِـــعُ الـــصيدُ بنـــا ... ولنـا قـوسٌ وسـهمٌ فـي الجفيـر
«كلَّمـــا أمكـــن طـــرفٌ فاركـــضَنْ ... كـم أمـات العـزمَ تـدبيرُ الأمـور [٢]»

***

الطَّائرة

علـــى غـــصنٍ بوقـــت الـــسَّحَر ... نغـــا طـــائرٌ لطيـــورٍ أخـــر :
«لقـــد سُـــلب الأجـــنُح الآدمـــيّ ... ومكَّـــن فـــي الأرض هـــذا الغبـــيّ»
فقلـــت لـــه: «يـــا أميـــرَ الرِّيـــاح ... أفـي الحـقِّ إن قلبتـه مـن جنـاح ..؟
بطـــائرةٍ قـــد ركبنـــا الهـــواء ... شـــققنا بهـا فـــي عَنـــان الـــسَّماء
وأيـــة طـــائرة فـــي الفلـــك ... يفـــوت مـــداها جَنـــاحَ الملَـــك
لهـــا عـــزم صـــقرٍ وأيـــدُ عقـــاب ... بلاهـــور [٣] ترنـــو إلـــى فاريـــاب [٤]
تُـــدوِّي وتزفـــر حـــين الـــتِفار ... وفـي العـشِّ صـمتٌ كحـوت البحـار
مـــن الطِّـــين صـــار لنـــا جبرئيـــل ... مـــن الأرض نحـــو الـــسماء دليـــل»
وعـــى الطـــائر الألمعـــيُّ الكـــلام ... وأبـــصر مـــا قلتُـــه فـــي الخـــصام

---

(١) يعني خلقنا للجهاد فأضعفنا الترف.

(٢) البيت الأخير للشاعر نظيري.

(٣) لاهور تقع في باكستان وهي إحدى كبريات مدنها، وعاصمة ولاية بنجاب اليوم.

(٤) فارياب، تقع في تركستان.

فـــأهوى إلـــى ريـــشه ينقـــر وقـــال مقالَـــك لا أنكـــر
فيـــا مَـــن يروقُـــك عقـــدٌ وحـــلُّ وفـــي قيـــد ســـحرك عُلـــوٌ وسُـــفلُ
أأصـــلحت فـــي الأرض بعـــد عنـــاء فجئـــت لتـــصلحَ جـــوَّ الـــسَّماء [1]

***

العِشْقُ

هـــو الحـــرفُ ضـــاءتْ عليـــه القلـــوب ولـــيس بـــسرٍّ وســـرّاً يـــرى
هلـــم أُنبِّـــك قـــولَ الخبيـــر بمـــن قـــد رواه وعمَّـــن روى
وعـــاه النَّـــدى خلـــسةً فـــي الـــسَّماء وأســـمعه الـــوردَ قطـــرُ النَّـــدى
وبـــاح بـــه الـــوردُ للعنـــدليب عـــن العنـــدليب روتـــه الـــصَّبا [2]

***

(١) البيت الأخير للشيخ سعدي الشيرازي.

(٢) أبيات تمثِّل تطور العشق من قطرة إلى غِناء بلبل إلى خفق الرِّيح.

القسم الثالث

الخَمر البَاقِية

(غزليَّات)

حبـــا الربيـــعُ رُبانـــا ... محافـــلَ التَّغريـــد
فاســـتيقظت أكمـــام ... للبلبـــل الغرِّيـــد
لا تحســـبنَّ أنَّ خُلقنـــا ... فـــي صـــبح دهـــرٍ مديـــد
فمـــا تـــزال خيـــالاً ... حـــوى ضـــمير الوُجـــود
لا تغتـــرر بعلـــومٍ ... الكـــأس خيـــر شـــهيد
إنَّ الفقيـــه مُريـــبٌ ... فـــلا تكـــنْ بمُريـــد
ضـــمَّ الربيـــعُ شتيـــ ... ـــتَ الأورادِ بالتنـــضيد
وبـــثَّ ريحـــاً ولونـــاً ... أنظارنـــا فـــي الـــورود
مـــن يُحكمـــن نظـــراتٍ ... لنفـــسه فـــي شـــهود
لـــم يـــشدُ يومـــاً بغيـــب ... كـــلاَّ ولا موجـــود
قـــد قـــال فـــي ألحـــان فاســـ ... ـــمعْ مقـــال شـــيخٍ رشـــيد:
فـــي كـــلِّ دهـــرٍ خليـــلٌ ... والنَّـــار مـــن نمـــرود [1]
لا تلحـــينَ أهـــل ديـــر ... فالعِـــشْقُ جـــدُّ عنيـــد
أقـــام أوثـــان حـــبٍّ ... فـــي القلـــبِ مـــن محمـــود [2]

---

(١) إشارة على قصة إبراهيم الخليل ونمرود الذي ألقاه في النار.

(٢) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب بمحطم الأصنام.

يضيع شدو حياةٍ ينساب بين الهنود
فالميت ليس بحيٍّ بالنفخ من داود

***

عقلُنا ينحتُ رباً كلَّ حين فهو من قيدٍ إلى قيدٍ رهين
ارفعِ البرقع جهرا لا تُبلْ ليس في حيِّك غيري ذو حنين
أنا من عينيَّ غيورٌ ناسج نظراتي لك ستراً في العيون
بسمةُ خَلس ودمعٌ ورناً ليس في الحُبِّ سواها من يمين
حبَّذا العِشق ففي يوم النَّوى زاد باللوعة عهدٌ لا يبين
أيها الطائر من صدري اقتبس لتزيدَ النّار في هذا الأنين
عُود تيمور مضى لا لحنُه هو في لحن سمرقند يبين
سادنُ الكعبةِ لا تأذَنْ له فلإقبال إلهٌ كلَّ حين

***

شكوايَ أمرٌ عجيب من نور عيني شكاتي
فنظرتي لي حجاب وأنت في الجلوات
أبلغ خلائق نورٍ الحق من كلماتي [1]
حذارِ كفَّ تراب للنَّفس في نظرات [2]
في محفلٍ من ربيع نذوب من حرارات
بالرِّيش منا شرار في الفجر من آهات

(١) يعني بخلائق النور الملائكة.

(٢) كف التراب: الإنسان، والنظر إلى النَّفس من فلسفة إقبال التي سماها «أسرار خودي».

يـــا واهـــنَ الـــنَّفس تـــدري ... مـــن أيـــن لـــي نغمـــاتي ؟
حـــواكَ كـــونٌ بعيـــدٌ ... مـــن عـــالمي وجهـــاتي
مثـــلَ الـــشَّقيق ترانـــي ... بـــالرَّوض فـــي حـــسرات
والقلـــب عُرضـــة رمـــي ... مِـــن أســـهم اللَّحظـــات
فـــي عـــرف أهـــلِ قلـــوبٍ ... الكَـــدْحُ ســـرُّ الحيـــاة
لكعبتـــي لـــم أســـافِر ... للأمـــن فـــي طرقـــاتي
وكـــم قبيـــل أقـــاموا ... وأدبـــروا فـــي شـــتات
فـــي دارة ضـــاء فيهـــا ... الهـــلال فـــي مـــشكاة [١]
فـــاخلق بطينـــك خلقـــاً ... ذا يقظـــةٍ وحـــصاة
مثـــلُ اتـــسامِ شـــرارٍ ... تلبَّـــث الفرصـــات [٢]
إنْ لـــم تكـــنْ ذا فـــضولٍ ... فتلـــك إحـــدى نكـــاتي
العِـــشْقُ أبعـــدُ شـــأناً ... مـــن ضـــائع الأنَّـــات
فـــي العجـــم أزكـــى نـــشيدي ... مـــا بـــاخ مـــن جمـــرات
والعُـــرب مـــن نـــارِ شـــوقي ... لـــم تـــأتهم نفثـــاتي

***

فـــي ذلـــك الحفـــل ســـؤلي ... عـــن مَحـــرمٍ بـــي حقيـــق
لـــذاك أزجـــى غنـــائي ... وفيـــه لحـــنُ الـــصَّديق [٣]
فـــي خلـــوة كـــلِّ لفـــظٍ ... فيهـــا كـــسترٍ صـــفيق

---

(١) يعني الدنيا جعلها داراً صغيرة فيها القمر كسراج في مشكاة.

(٢) فرصات: جمع فرصة.

(٣) اللحن: الرمز في الكلام.

يبـــتُ قلبـــي حـــديثاً بمقلتـــي وبمـــوقي
مـــن أجـــل نظـــرة وجـــدٍ لوجهـــك المرمـــوق
مطهِّـــر نظراتـــي بـــدمع عـــين طليـــق
كـــالكِمِّ كـــلُّ أمـــوري لعقـــدة ولـــضيق (١)
لكـــن الجلـــوة شـــمسٌ أنمـــو بقلـــبٍ مَـــشوق
كـــالموجِ، لـــيس كيـــاني يهـــاب ســـيل العقيـــق (٢)
ولـــست فـــي البحـــر أبغـــي إلـــى الـــشطوط طريقـــي
مـــا بـــين عـــينٍ ورأيٍ بينـــي وبـــين صـــديقي (٣)
مهمـــا تباعـــد عنِّـــي فكـــلُّ حـــينٍ رفيقـــي
قـــد خـــطَّ فـــي ســـتر عينـــي نقـــوشُ كـــونٍ أنيـــقُ (٤)
بـــشعوذات أرانـــي فـــي قيـــد ســـحرٍ وثيـــق
فـــي قبَّـــة قـــد أحاطـــت لا أرتـــضي بالـــضِّيق
شـــوكٌ بجنـــب ســـماء لا بـــدَّ لـــي مـــن مُـــروق
لا أســـتريح بعُـــشٍّ مـــن لـــذة التحليـــق
طـــوراً بـــشاطئ نهـــرٍ طـــوراً بـــروضٍ شـــقيق

***

(١) يتخيّل الشاعر أن كم الزّهر لانطباقه معقود.

(٢) العقيق: هو كل سيل كبير يشقُّ الأرض وواد بالمدينة.

(٣) الرأي: رأي العين.

(٤) في هذا إشارة إلى الصور التي تسمى خيال الظل، فالستر يظهر عليه الخيال لا الحقيقة، فهو يقول: إنّ هذا العالم نقوش في ستر العين تخدع عن الحقائق.

المغنّي الصبيح في ألحانِ ... وريـاضُ الرَّبيع ألواحُ ماني [1]

وتحيي دم الربيع شقيق ... أيُّ ظمأ به إلى الألوان؟

نغمةٌ تفتح العيون لمعنى ... ضاق عنه طرائق التبيان

فتأمَّل بعين عشقٍ وأبصِرْ ... منه آياً تُضيءُ دون بيان

فعيونُ العقولِ تُظهِرُ فيها ... هذه الكائناتُ سحرَ العيان

وعن عشقٍ خُذ دروسَ جهادٍ ... وافعلن ما تشاء في كلّ آن

إنما العشق جوهرٌ لشعورٍ ... وهو روحُ الإدراك والعرفان

ولنا غاية من الشَّمس أعلى ... إنها الشَّمس صُوَّة الرُّكبان [2]

إيه يا قطرةً عنِ النفسِ تاهتْ ... تطلبين المحالَ في الأكوان

إنَّ عاراً معيشة البحر إن لم ... تطلعني منه درَّةٌ ذات شان

يا جهولاً بقدر نفسك لولا ... أنت كان العتيق كالصَّوان [3]

***

قد هدمتُ الأصنام لم أرضَ شكلاً ... أنا سيلٌ هدمتُ كلَّ سدودي

ومن العِشْقِ قد رأيتُ كياني ... كان عقلي يُريني وجودي

وبديرِ ضراعتي وهو أني ... وصلاتي بكعبةِ التَّوحيد

ومن الذكر سُبحتي بيميني ... فاعجبَنْ من زنَّاري المعقود

منبع الحزن فيك غير نضوبٍ ... دمعُ قلبي حبستُه عن خدودي

---

(١) ماني: صاحب مذهب المانوية كان ماهراً في التصوير، وترك الواحاً مصورةً في كتاب عرف باسم «أرزنك» ضرب به المثل.

(٢) الصوّة: أحجار تجعل علامة على الطريق.

(٣) يعني أن الإنسان جهل قدر نفسه وقدّر أشياء ليس لها قيمة إلا بتقديره.

راق قـــولي، وســـيرتي لجنـــونٍ: خمـــرُ شـــوقٍ لـــسكرتي وشـــهودي

***

طـــــوبي لمحـــــرق عقـــــلٍ بنـــــــارِ راحٍ عتيـــــــق
مَـــــنْ يعتنـــــي بمتـــــاعٍ مـــــنْ نـــــاره كالـــــشقيق
أوحـــى الرَّبيـــعُ إلـــى الـــزا هـــدين بيـــع الـــدلوق [1]
فـــاغرس بالكـــأس الحميَّـــا بـــستان وجـــهٍ أنيـــق
قلبـــي رثـــى لفقيـــهٍ مجـــاورٍ بـــالعتيق
مـــا اتباعـــه شـــيخ خـــان فتـــوى بكـــأسٍ رحيـــقِ
اللحـــنُ لا تقدرُونـــه علـــى غنـــائي الرقيـــق
فبرقـــةُ اللَّحـــن تغـــشى إســـكندراً بحريـــق
لـــروض «ويمـــر» تهـــدي الـــصَّبا ســـلام مـــشوق [2]
فـــذي الـــدِّيار أَضـــاءتْ لعـــينِ ذي تحقيـــق

***

نَـــوح ليلِـــيَ القلـــق والهمـــوم فـــي الفلـــق
والأنـــينُ مِـــن شَـــرَر والقـــريض مـــنْ حَـــرَق
أيـــن حـــرص مجتهـــد مِـــن تـــضرُّم العـــشق

(١) الدلوق: جمع دلق، وهو لباس بالٍ مرقع يلبسه الزُّهَّاد والشحاذون.
(٢) ويمر: مدينة في ألمانيا، أقام فيها الشاعر غوته كثيرا ومات ودفن فيها.

openkandil.com

ذاك فـــــأس فرهـــــاد ذاك خُـــسر فـــي مـــذق [١]
قُـــل لـــساكني حجـــب عـــنْ ترابـــي القلـــق :
ذا الغُبـــــارُ ذو نظـــــر ذا التـــــرابُ ذو فلـــــق
مطربتـــــي تـــــسكرني وتزيـــد فـــي حُرقـــي
نغمـــــاتُ مـــــستحر بـــــالقلوب ذي علـــــق
مِـــن حـــذاره أرضُ ســـمر فنـــدبت فـــي فـــرق
مـــن هجـــوم جنكيـــز أو هلاكـــو فـــي الحلُـــق [٢]
هـــات مطربـــي غـــزلاً نظـــم مرشـــدي اللبـــق
لأفـــوزَ مـــن لهـــب التبريـــزي بـــالحرق

***

مُنيتـــــي أن يتجلَّـــــى ذلـــك البـــدرُ التَّمـــامُ
فيـــدي تُمـــسك صـــدري ويعينـــيَّ اقتحـــامُ
ويقـــول الحـــسن: صـــبحي لـــيس يغـــشاه ظـــلام
فيقـــولُ العـــشق : وجـــدي لـــيس يخبـــو والهيـــام
لـــيس مـــن يـــومي وأمـــسي وغـــدي فـــيَّ زمـــام

---

(١) فرهاد: المهندس، وخسرو برويز: ملك الفرس، وكان وعد فرهاد أن يهب له معشوقته «شيرين» إذا شق طريقاً في الجبل، ففعل ولم يظفر بأمنيته، فضرب فرهاد مثلاً في العشق الخائب.

(٢) أشار الشاعر أكثر من مرة إلى سمرقند وجنكيز كأنه يُشير إلى ما أصاب المسلمين من هذه النواحي.

obeikandl.com

لـــيس لـــي نَجْـــدٌ وغـــورٌ لـــيس يحـــويني مقـــام
خمـــرة الأســـرار أبغـــي وكؤوســـاً لا تـــرام
وبحانـــات مجـــوس دائـــر عنـــدي جـــام [١]
لا تقُـــل : مـــالي ولحنـــاً لا يـــرى فيـــه انـــسجام
فأنـــا طـــائر غيـــبٍ عـــن حبيبـــي لـــي كـــلام
أرفـــع الـــستر وأشـــدو لـــي فـــي اللَّحـــن مقـــام [٢]
أنـــا صمـــصام دمـــاءٍ لـــي بالغمـــد كَعـــام [٣]

***

غُـــصْنُ الحيـــاة نـــديٌّ مـــن ظمئنـــا فـــي الطِّـــلاب
عـــين الحيـــاة أراهـــا تعلُّـــه الهيّـــاب [٤]
فَمـــنْ أبـــثُّ حـــديثي وأيـــن أزجـــي ركـــابي ؟
ولا تـــؤثر آهـــي ونظرتـــي فـــي حجـــاب
فزمـــزِ مـــنْ فـــي غنـــاء واخفـــض نـــوح الرَّبـــاب [٥]
فـــلا تـــزالُ طيـــورٌ تنـــوح تحـــت نقـــاب
أهـــل الحجـــاز تولـــوا قـــوافلي بـــسلاب

---

(١) المجوس في الشعر الفارسي كالنصارى في الشعر العربي، يذكر الشعراء خمرهم وحاناتهم.

(٢) من مقامات الموسيقا.

(٣) الكعام: هو الكمام للجمل، الذي يخشى صياله- وبالفتح جمع كعم، وهو وعاء السِّلاح.

(٤) عين الحياة في الأساطير: عين من شرب منها لا يموت، وقد شرب منها الخضر، والشاعر يقول: «إن الحياة هي عطشنا في الكفاح لا ورود عين الحياة».

(٥) الزمزمة: كلام خفي.

obeikandl.com

حبيبنا عربيٌّ ... فلا تفه به بعتاب
وزن عُجم وهند ... لا تبغ وزن خطابي
فأصل هذي اللآلي ... بالليل دمع انتحابي
هلُمَّ فالرَّاحُ عندي ... من دنّ عالي الجناب [1]
وخمرة القول أصبى ... من خمرة الأعناب

***

من كرى الموت لا تفيقُ عيونٌ ... دون نور تفيضُه من سناكا
إنّ من دونك الوجودُ محال ... ومحالٌ فناؤنا في جسماكا
قد حوى الكون قلبنا وهو فيه ... عقدةٌ لا تحلُّ فاكظم فاكا
نغماتي الضعاف أحرقن صحبي ... حرقتي نغمةٌ أبت أن تحاكا [2]
إن تضنّ الصبا بطلٍّ فدعها ... نار قلب الشقيق تأبى فكاكا [3]
فإلى الحق وجّه القلب واصبر ... لا تؤمل بغيره إدراكا
سُدَّة الوُثْنِ هذه وعليها [4] ... جبهات الأباة تأبى حِكاكا

***

(١) جلال الدين الرومي.
(٢) أبت أن تنسج، يعني: لا يستطاع إظهارها.
(٣) يتخيّل الشاعر أن الطلّ خفف من حرقة الشقائق الملتهبة، يقول لا تبالي إن لم يسقط الطل فهذه النار لا تفارقنا بأية حال.
(٤) الوثن: جمع وثن.

كتب إلى أحد الصُّوفيَّة [١]

لهيب الوجد من أسماء لا عندي ولا عندك

وحرُّ القلب في البيداء، لا عندي ولا عندك

وشيخ أنت في خان وإني ناشئ ساق

عطاش نطلب الصهباء لا عنيد ولا عندك

رهناً قلبنا والدِّين حبُّ الغيد من عُجم

ونارُ الشوق من ظمياء، لا عندي ولا عندك

حطام كان أصدافاً على شطّ لقطناها

فقدنا الدُّرَّة البيضاء، لا عندي ولا عندك

وبلوى يوسف المفقود من يطيع ذكراها

وخفض القلب في زلخاء [٢]، لا عندي ولا عندك

---

(١) في هذه الأبيات مثالان من الشعر الفارسي، الأول أن وزن الهزج فيه مفاعلين ثماني مرات وهو في العربية لا يزيد على أربع، والثاني القافية المردوفة والردف هنا «لا عندي لا عندك» والروي الهمزة الممدودة قبلها.

(٢) زلخاء: زليخاء عاشقة يوسف الصِّديق عليه الصلاة والسلام.

openkandil.com

كفانا النُّورُ في المصباح قد أخفتْه أستارُ

فطوق النُّور في سيناء، لا عندي ولا عندك[١]

***

قلبُنا كونٌ ولكن ما به دور القمر
دورانٌ ليس فيه من عشيٍّ أو بُكر
ويل ركبٍ قد أسفتّ العزمُ فيه وضمر
فهو يرتاد طريقاً ليس فيها منْ خطر
فدع العقل وموج العشق صارع لا تقر
فبذاك النهر ضيق ليس فيه من دُرر
كلُّ ما يجري خيالُك أو خيالي في الأثر
هو في العين ولكن مُستسرٌّ كالنَّظر

***

غير مجدٍ بكاؤنا ويلتا ! ضاعَ ذا الغنم
نَوح قلبٍ ممزقٍ حاصلُ الغمِّ والألم
خفق القلب ساعياً يخلق الدَّير والحرم
هو فينا محدِّقٌ نحن فيه على قدم

(١) الطوق: الطاقة.

obeikandl.com

نبذ الستر أهله ... لذت بالنفس في حرم[1]
غيرة العشق فانظرن ! ... أيُّنا شوقه احتدم ؟
مطربُ ألحان في الدُّجى ... قد شدا معجب الحكم
ذوق راحٍ محرَّم ... شربُ راحٍ لنا أمم
هي مسير حياتنا ... ما سوى السير يُغتنم
ليس للموج منزل ... أو طريقٌ إذا التطم
أشعلِ النَّار في هشيمي ... من قال في القدم :
«منزل الكبرياء لي» ... مرشد الرُّوم[2] ذا العلم

***

أبدِ من طينك ناراً تُضمر ... لا تحلَّ بعد هذا يُقدَر
مُلك جمٍّ «لنظيري»[3] مصرع : ... «ليس من قومي من لا يُنحر»
ساحر العقل يعبّي جنده ... لا تُرع للعشق جند ينصر
بمقامٍ ولحونٍ لم تُحِط ... عُود سَلمى كلُّ حينٍ يَقطر
نظري في النَّفس أحكمتُ فلم ... يتوجَّه لسواها النظرُ
فتَجلَّى الحبُّ في كل الدُّنى ... وأنا في شُغُلٍ لا أنظر

---

(١) أهل السر الذين في عالم الغيب والشاعر على مذهبه في الذاتية، يقول: إنّه لم يُبال بالنظر إلى عالم الغيب بل نظر إلى نفسه، وإنّ عشقه الغيور لم يتجه إلى غيره بل غيره نظر إليه.

(٢) مرشد الرُّوم، يراد به جلال الدين الرُّومي.

(٣) نظيري النيسابوري، أحد الشعراء الفارسيين الكبار، هو وجمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية.

ما جنونُ العِشق في البيداء سدًى ... في قرى الحسن تعالوا نجأر [١]

وبصيد الوحش في البحر اهتفنْ ... لا تقل: زورقنا لا يُبحر

مِلْ عيني دليل ما مضى ... في طريقٍ ليس فيها خطر

أصبحنْ شُرباً خليعاً واحْذَرَنْ ... عهد شيخٍ ليس فيه ذأر [٢]

غايةُ الإفصاحِ لمحٌ وكُنى ... فلُغى الخلوة رمز يُعبر [٣]

***

تضيقُ بدار أصنام ... ولا ترضى بمحراب

ولكن نحو مشتاقٍ ... تسيرُ بشوقِ أصحاب

فاقدِم واتخذ مغنا ... كَ في أرواحِ أحباب

وكيف وأنت ربُّ الـ ... ـدَّا ر تدخل خطو مرتاب؟

تُغير على ذوي التسبيح ... تحمل كلَّ أسلاب

وتطرق أهل زنَّار ... بليلٍ فعل نهاب

وذو جحفل لجب ... لسفك دماء أصحاب

وطوراً في جماعات ... بكاساتٍ وأكواب

وتأتي باللهيب إلى ... كليم غير هيَّاب [٤]

---

(١) لعل الشاعر يُشير إلى مجنون ليلى وهيامه في البيد، ويعني أن هذا الهيام في فضاء الطبيعة لا بد أن ينتهي إلى صلاح الجماعات في القرى.

(٢) الذأر: الشرة وحدة الخلق.

(٣) يعبر: كتعبير الرؤيا.

(٤) إشارة على النّار التي لاحت لموسى عليه الصلاة والسلام.

وتـــأتي كـــالفراش إلـــى ... يتـــيمٍ شـــمعُه كـــابي [1]
فيـــا إقبـــال خـــذ كأســـاً ... بخمـــر «الـــذَّات» لهَّـــاب
ســـفاك الغـــربُ مـــن كـــامنٍ ... لنفـــسك منـــك ســـلاَّب

***

لـــذعاتُ حـــان العُجـــم ليـــست ... كُـــفءَ نـــاري الحاميـــه
ذا أحمـــد العربـــيُّ نَظْـــ ... ـــرَتُهُ تحـــيط جهاتيـــه
مـــا حيلتـــي والعقـــلُ فـــي ... عُقـــدٍ لـــه متواليـــه
نظـــراتُ عينـــكَ، فانظرنـــه ... حلَّـــت طلـــسم مجازيـــه
حِيَـــلُ العقـــول تفوقهـــا ... خفقـــات قلبـــي الداميـــه
فـــاهج كنـــيس تفلـــسفٍ ... لحـــريمِ نـــاري الحاميـــه

***

أنت كالمرآة تفنى في جمال الآخرين ... فاغسلَنْ قلباً وعيناً من خيال الآخرين
من نواح الطَّير في الأحرام فاقبس ... ذلك العشَّ الذي شُدتَ بمال
وتعلّم جاهداً خفق جناحيك وطر ... أنت لا تستطيع طيراً بجبال الآخرين
أنا حرٌّ وغيورٌ مسرفٌ في غيرتي ... ممكن قتلي بكأس من زلالِ الآخرين
إيهِ يا أقربَ من روحي ولا أبصره ... عندنا هجرُك أحلى مـنْ وصالِ

---

(١) إشارة إلى اصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢) الأحرام: جمع حرم.

(٣) وهذه قطعة أخرى بنيت على الرمل المثمن - والرمل في الشعر العربي لا يزيد على ست تفعيلات والقافية فيها مردوفة بكلمة الآخرين، والروي اللام التي قبل الرديف.

عنـــدليبُ الرَّبيـــع جُـــنَّ غنـــاء وعـــروسُ الـــشَّقيق تُزهـــى بهـــاءَ
لا مغـــنٍّ ولا مزاهـــرُ فيـــه ذاك لحـــنٌ مـــن المغيَّـــب جـــاء
محـــرم الـــسرِّ مـــن يـــسدد ضـــرباً فـــي وتـــار الحيـــاة أيـــان شـــاء [١]
مـــن وراء الـــستور أنبئـــت ســـراً لـــست أفـــشي، فالـــدهر لعبـــاً أســـاء [٢]
لا تعنِّـــف وخـــذ ســـبيل ودادٍ قـــدَّر اللهُ فـــي الحيـــاة التقـــاء
أيـــن فـــي دارة التـــراب مقـــامٌ ؟ كـــل شـــيءٍ كالرَّمـــل يمـــضي هبـــاء
زهـــرةٌ مـــن ريـــاض كـــشمير جـــسمي وبـــأرض الحجـــاز قلبـــي أضـــاء
وأغـــانيَّ واللحـــونُ نمتْهـــا أرضُ شـــيراز، حـــبَّ ذاك انتمـــاء

***

نحـــن تـــربٌ، وكـــالنجوم ســـفارا مـــن خـــضمِّ الزرقـــاء نبغـــي قـــرارا
نحـــن مـــن شـــعلة الحيـــاة جميعـــاً لـــذَّة «الـــذَّات» فرَّقتنـــا شـــرارا [٣]
قـــل لأهـــلِ الـــسَّماء: إن ترابـــاً نـــال بالعقـــل فـــي الـــسماء مطـــارا
نحـــنُ فـــي العـــشق زهـــرةٌ فـــي نـــسيمٍ وبكـــدِّ الحيـــاة نقـــدح نـــارا
نحـــن فـــي المـــرج نـــرجسٌ نـــاظرات كلُّنـــا أعـــينٌ فـــألق الـــستارا

***

ليـــردَّ العُـــرب دمعـــي داميـــاً روضـــة تنبـــت ورداً وشـــقيقاً
وليـــردَّ العُجـــم أنفاســـي وقـــد صـــوَّحت جنـــاتهم، روضـــاً أنيقـــا

---

(١) الوتار: جمع وتر.

(٢) إشارة إلى الألعاب من وراء الستار كالذي يسمَّى خيال الظلِّ.

(٣) يعني: لذة الاستقلال والوحدة كما يرى الشاعر في فلسفة «الذات».

obeikandi.com

من حياةٍ وخلودٍ كدحُنا ... يا ترابي ! فلتكن قلباً خفوقا
صحب الله فؤادي هائماً ... سار لا يرضى مقاماً أو طريقا
صوَّر اليأس على آفاقنا ... عقلُنا اليائسُ فاحذره رفيقا
ويعود قطِّعت أوتارُه ... قد حبا قلباً إلى اللَّحن مشوقا
أنت نشء وكلامي شُعَل ... علَّ شدوي مضرمٌ فيك حريقا
ليس في قلبي إلا أن أرى ... قطرةً فيك غدت بحراً عميقا
لا عرا الرُّوح هدوء ولتكن ... بحياة الكدِّ والكَدح خليقا

***

لا التَّاج يزهو عليه ... ولا سنا الزِّينات
فقيرٌ حيُّك، لكن ... من الملوك الأباة
في الشيب ماتت قلوبٌ ... وفتيةٌ في سُبات
فما لصدرٍ نصيبٌ ... في الفجر من آهات
لا تقعدنْ عن طِلابٍ ... في واسِع الفلوات
فما بعصرك هذا ... هادٍ إلى الطُّرقات
غَفِلتَ عن سرِّ وقتٍ ... أضعته في شتات
وقتٌ عداه حسابٌ ... بالشَّهر والسَّنوات
هذا الرِّباط قديم ... ما فيه عيش مواتي
غَفِلتَ عن سرِّ عيشٍ ... وعن جهادِ الحياة
ماذا يخطُّ من الذنب ... كاتبا الهفوات
دنياكَ ما قد أصبنا ... فيها سوى نظراتِ
إقبالاً الحرَّ أمسك ... بذيله في ثبات

فمـــا يـــرى فـــي ربـــاط مـــن بـــائعي الخرقـــات

***

عـشقي الجـريء صـدرُه سـعيرُ وحكمتـي عـن شـرر تخـور
إنْ يكمـل الهيـامُ صـار ذلاً قـيسٌ بـ «ليلـى» عنـدنا شـهير
إليـك جئـت فـي سـجود وجـدٍ سـيماه فـوق جبهتـي تفـور
هـب سـيف «لا» لكـافري وأبـصر «إلا»ي كيـف فـي الـدنى تثـور [1]
لا بـدَّ مـن دورٍ يعيـد أمـسي فـي جلـوات مـن غـدي يـسير
نـورك فيـه للـدُّنى نـصيبُ «سـينا»ي كيـف فاتهـا تنـوير
أحـدِّث الـرحمن فـي حجـابٍ وفـي حمـاك منطقـي جهيـر
أيـا رسـول الله ! إنَّ ربـي محجَّـب وأنـت لـي ظهـور

***

أسـفي عليـك نحـتَّ أصـناماً أخـر عـوداً ولـم تبحـث بقلبـك عـن أثـر [2]
أسـفي عليـك صُـهرت فـي نـار الفرنـ ـجِ ومن لحاظ العين روحك قد قطر
أسـفي عليـك فمـا وُزنـت بنظـرة فـي حلَّـة فيهـا التـرابُ لـه قـدَر
أسـفي عليـك قـرأتَ أسـفار العقـو ل ومـا فهمـتَ حـديثَ وجـدٍ يُستطر
أسـفي عليـك تطـوفُ مـن ديـرٍ إلـى حـرمٍ وفـي معنـاك لـم تُجِـد النَّظـر

---

(١) يشير إلى النفي والإثبات في «لا إله إلا الله» يعني: هب لي أنا الكافر توحيدا وانظر فعلي.

(٢) هذه الأبيات مردوفة في الأصل تكرر في أواخرها الكلمة التي ترجمتها «أسفي عليك»، وقد كررتها في أول كل بيت.

(٣) ذاب في نار الفرنج وأفنى نفسه بالنظر إليهم وتقليدهم.

القسم الرابع

نقشُ الإفرنج

أَبْلغي يا ريحُ عنِّي عالمَ الإفرنج جهرا :
إنَّما العقل أسيرٌ زادَه التحليقُ أَسرا
يتحدَّى العِشقُ برقاً منه هذا العقل فرَّا
سُحِرَ العقلُ، وكان الـ ـعِشقُ بالأكباد أدري
تبصرُ الأعينُ لوناً حينما تبصرُ زهرا
ووراء اللَّونِ معنىً هو أجلى منه يُدري
ما عجبنا أنّ إعجا ز مسيحٍ نلتَ خُبرا [1]
قد عجبنا لمريضٍ داؤه عندك أشرى [2]
تجمع العلم وتلقي القَلـ ـبَ لا ترغبُ فيه
آهِ نقدٌ ثمينٌ ضاعَ في كفِّ سفيه
إنّما الحكمةُ أمرٌ ليس فيه مِن نهايه
ليس في كتّابها للحبِّ والعِشقِ بدايه [3]
قطعت سُبل قلوبٍ يقظاتٍ بالعمايه
ذاتُ طرفٍ ذي كلامٍ هو في الفتنة آيه
ودلالٍ لا تُرى فيه إلى القلب سرايه
ليس فيها لذةُ الوخـ ـزةِ من غمزِ الرِّعايه

---

(١) الخطاب لعالم الإفرنج.

(٢) شرى الداء: إذا اشتد، وأشري للتفضيل، يعني: أنه كالمسيح في المعجزات، ولكنه لا يشفي.

(٣) أي: ليس في كتابها ألم العشق وحزُّه كما يبري القلم.

طـــوت البيـــد ولـــم تظـــ ـــفر بظبـــيٍ فـــي النهايـــه
طافـــت البـــستان لـــم تبـــ ـــلغ مـــن الأزهـــار غايـــه
فَهَلُمُّـــوا نـــسأل العِـــشْق سـ ـــدادا ورَشـــادا
واقـــصدوا العِـــشقَ سُـــجودا وابلغـــوا مِنـــهُ مُـــرادا

***

ســـلكَ العقـــلُ طريقـــاً ذا شـــعابٍ حـــين ســـارا
مـــلأ العـــالمَ هرجـــاً وأصـــارَ المـــاءَ نـــارا
فـــي يديـــه كيميـــاء ردَّت الرمـــل نـــضارا
لـــم يـــضَعْ إكـــسير حـــبٍّ فـــي قلـــوبٍ أو أنـــارا
ســـحرهُ قـــد خـــال فينـــا فقبلنـــاه جهـــارا
ذاك قطَّـــاع طريـــقٍ قطـــعَ الـــسُّبل نهـــارا
فنَّـــه قـــد هـــدّم الأفرنـــ ـــج والنقـــعَ أثـــارا
ثـــمَّ فـــي مُقلـــة عينـــي ذرَّ مـــن ذاك غُبـــارا
كـــم زرعنـــا مـــن شـــرارٍ وحـــصدنا مـــن لهيـــبِ
كـــم عقـــدنا وحللنـــا عُقـــداً فـــوق القلـــوبِ

***

أيـــنَ مِـــن خفـــق الـــشَّواهي ـــن جنـــاحُ العنـــدليب
أيـــنَ مـــن يلقـــطُ مِـــنْ حـــ ـــبِ علـــى الأرضِ تريـــب
مـــن فتـــى يلقـــط عنقـــو د الثُّريـــا لا يَخيْـــب
أيـــنَ مـــنْ يـــسري بـــروضٍ كنـــسيمٍ فـــي هبـــوب

مَنْ بصير في ضمير الزهـ ـير للسِرِّ يصيب
أين فوق الأرض ظنٌّ سارَ أو شكٌّ مريب
من طموحٍ جاوز الأفلا ك لِلْمشرى الرَّحيب
حبَّذا عقلٌ فسيحٌ قد أحاطَ العالَمين
نورُ أملاكٍ ونا ر الأنسِ فيه دونَ مين
نحنُ مِنْ خلوةِ عِشقٍ قد برزنا بالسَّجايا
فجعلنا موطئ الأقـ ـدا م في الأرض مَرايا
فانظرنْ همَّتنا كيـ ـف لعبنا بالعطايا
قد أضعنا الكونَ جهراً حينَ حزناهُ خفايا [1]
قدْ نزلنا شطَّ نهرٍ نبصرُ الموجَ سَرايا
تبصرُ الأعينُ سطراً مِنْ غُدُوٍّ وعَشايا
قَلبُنا بيتُ هذا الدَّير لا يبغي سبايا [2]
فرمى النَّارَ برطبٍ ويبينٍ في البرايا
شعلةً كنَّا جميعاً وانتثرنا كالشَّرَرْ
أهلَ شوقٍ وحنينٍ ورجاءٍ ونَظَرْ
أصبح العِشْقُ غوياً قاطعاً كلَّ وكاء [3]
فتنةٌ للناس فيها خَفقُ حوتٍ في العراء

(١) يعني: استولينا عليه بقوة أرواحنا، وبذلته أيدينا احتقاراً.

(٢) في الأصل: الدير القديم، وهو كناية عن الدُّنيا.

(٣) أحسب الشاعر يقصد في هذه الأبيات إلى أنَّ العشقَ، وهو الوجدان السليم قد صار هوىً وطمعاً، ففعل ما فعل (المترجم).

آثـــر الحَـــرْبَ علـــى الخفـــضِ وعبَّـــــى للقـــــاء
لـــم يـــروِّ الـــسَّيفَ إلا مِـــنْ صـــدورِ الأوفيـــاء
قطـــع الطُّـــرق وســـمَّى الـــ ـــقَطْعَ حِفْـــظَ الأمنـــاء
أخـــذ الـــدُّفَّ وغنَّـــى راقـــصاً دونَ حيـــاء
رافعـــاً فـــي الكـــفِّ كأســـاً مِـــنْ دمـــاء الأصـــفياء
حـــانَ أنْ نُحـــدِثَ نهجـــاً ونجـــدَّ النظـــرا
فاغـــسلنْ لـــوحَ فـــؤادٍ وأجِـــدَّ الأســـطرا
لحـــنُ إســـكندر ولَّـــى وتقـــضَّى لحـــنُ دارا
وأتـــى فرهـــادُ يبغـــي ملـــك برويـــزَ جهـــارا
يوســـفُ فـــارق ســـجناً وعزيـــزَ الملـــك صـــارا
وخرافـــاتُ زليخـــا ورُقاهـــا تتـــوارى
كـــلُّ ســـرٍّ كـــان يخفـــى غـــشيَ الـــسُّوق نهـــارا
ومـــضى حفـــلُ النُّـــدامى وبريـــقُ القـــول بـــارا
فـــافتحِ العَـــين وأمعِـــنْ لتـــرى مـــا لا تـــرى
إنمـــا تبنـــي الحيـــاةُ اليـــوم كونـــاً آخـــراً
أنـــا فـــي الأرض بـــصيرٌ عـــارفٌ ســـرَّ الحيـــاةِ
أبـــصر الـــذَّرَّات طـــراً كنجـــومٍ نـــاظراتِ
وأرى الحبَّـــة تحـــت التُّـــرب مـــن قبـــل نبـــاتِ
ذاتُ أصـــلٍ وفـــروعٍ وثمـــارٍ يانعـــاتِ
وأرى الأطـــواد ريـــشاً فـــي ريـــاحٍ قَلِقـــاتِ
وأرى الـــرِّيش ثباتـــاً كجبـــالٍ راســـخاتِ

وانقـــلابٌ لـــيس يحـــو ... يـــه ضـــميرُ الكائنـــاتِ
قـــد أراه لـــستُ أدري ... كيـــف فـــي العَـــينِ يـــواتي
حبَّـــذا المبـــصرُ جهـــراً ... فارســـاً فـــي ذا القَتَـــر
ويـــرى جـــوهرَ لحـــنٍ ... فـــي اهتـــزازٍ بـــالوتر
بالحيـــاة النَّهـــرُ جـــار ... وســـيجري فـــي مـــضاء
عـــاتق الـــرَّاح فتـــىً ... وســـيبقى فـــيَ فُتـــاء
كـــلُّ أهـــلٍ لوجـــودٍ ... ســـوف يحظـــى بالـــضِّياء
ووجـــودٌ غيـــرُ أهـــلٍ ... ســـوف يحويـــه الفنـــاء
إنَّمـــا العِـــشْقُ عيـــونٌ ... ترقـــبُ الحـــسن ظمـــاء
ومُنـــى الحـــسنِ ظهـــورٌ ... وســـيبدو فـــي جـــلاء
إنَّ هـــذي الأرض فيهـــا ... لـــي دمـــوعٌ مِـــنْ دمـــاء
ســـيُرى الـــدَّمعُ عقيقـــاً ... فـــي حـــشاها ذا بهـــاء
«فـــي ظـــلام الليـــل جـــاء تـــ ... ـــني مـــن الـــصُّبح بِـــشاره
أطفـــئ الـــشَّمع ولاحَـــتْ ... لـــي مـــن الـــشَّمس أمـــاره»[1]

***

جمعية الأمم

بؤســـاءُ الأرضِ رامـــوا سُـــنَناً ... لتـــزولَ الحَـــرْبُ فـــي هـــذي العُـــصور
وســـمعنا أنَّ نبّاشـــي قُبـــورٍ ... شـــركةٌ شـــادوا لتقـــسيمِ القبـــور

(١) هذا البيت يضمن في شعر إقبال وهو لغالب (الشاعر الأردوي المشهور).

شوبنهاوَر ونيتشا [١]

طـارَ مِـنْ عُـشِّه يـسيرُ بـروضٍ ... فأصـابته شـوكةٌ مِـنْ زُهـور
لعـن الـرّوضَ والزّمـان ونـادى ... بثبـورٍ لنفـسه والطُّيـور
ورأى وسـمة الـشقائق جـوراً ... وطلَـسْم البرعـوم خَـدعُ خبيـر [٢]
قـال ذي الـدَّار شـيَّدْتَ باعوجـاج ... كـلُّ صـبحٍ بهـا إلـى ديجـور
نـاحَ حتَّـى تقـاطرت نغمـاتٌ ... مـن دمـاءٍ، بـدمع عـينٍ غزيـر
وشـجا الهدهـدَ النُّـواحُ فـوافى ... ينـزع الـشَّوك مـن جناحِ الكسير
قـال: أخـرج مـن كـل خـسرك ربحـاً ... مـزَّق الـوردُ صَـدْرَه للعبيـر
واجعـل الجُـرْحَ بَلـسماً فـسترضى ... وائْلَـفِ الـشَّوكَ تغـدُ كلُّـك روضـا

***

الفلسفة والسياسة

لا تقيـسوا فلـسفياً بارعـاً ... بـسياسيٍّ وبالعـدل احكمـوا
ذاكَ عـينٌ جهـرت فـي شمـسها [٣] ... وجمـودُ عـينِ ذا لا تَـرْحم
ذاكَ فـي الحـقِّ دليـلٌ واهـنٌ ... ذا لـدى الباطـل قـولٌ مُحْكَـمُ

***

(١) فيلسوفان ألمانيان معروفان، الأول متشائم، والثاني يعجب بالقوة واحتمال الشدائد في هذه الحياة.

(٢) في الشقيقة سواد يجعلها الشُّعراء وسمة من الحرقة. وطلسم البرعوم يريد به انطباقه و@ كالطلسم.

(٣) جهرت العين: لم تبصر في الشمس.

نيتشا

ثـارَ مِـنْ ضـعفِ الأناسـيِّ قلبـه فبـرى الخلـق المكمـل لُبُّـه
فتنـة فـي الغـرب مـن ذي جنـون كـان فـي دار الزُّجـاجيِّ ضـربه

***

بايرُن [١]

قطـراتٌ رشـحتْ مـن كأسـه شـعلةٌ تنمـو كـوردٍ وشـقيق
ذو رسـالاتٍ بهـا حـرُّ الجـوى فرسـولُ الحـبِّ منهـا فـي حريـق
ضـاق بـالإفرنج بـرداً طبعـه فهـو فـي الأوطـان فـي غـمٍّ وضـيق
وخيـالٍ كـم بنـى مِـنْ ملعـبٍ فيـه للحـورِ مـراحٌ ويريـق
جَلـواتٌ للشَّباب ائتلقـتْ فهـو فـي الغَـشْيَةِ منهـا لا يفيـق
طـائرٌ فـارق عـشّاً ورأى حِلَـق الشُّبّاك [٢] أولـى بـالحلوق

***

جلال وهيكَل [٣]

ليلـةً بـتُّ أعـاني حلَّهـا مـشكلاتٍ لحكـيم الألمـانِ
ذاكَ مَـنْ أبـرز فـي إبداعـه أبـديُّ الكـونِ مـن ستر لآنـي [٤]

---

(١) الشاعر الإنكليزي المعروف فارق وطنه إلى بلاد اليونان لنصرة الثائرين بها، ومات هناك.
(٢) الشباك: الشبكة.
(٣) جلال الدين الرومي، وهيكل الفيلسوف الألماني.
(٤) يريد أنه أدرك من الشيء المؤقت حقائق أبدية، والآني نسبة إلى الآن.

يخجلُ العالم من أفكاره ... شاكياً ضيقَ زمانٍ ومكانِ
سرتُ في بحرٍ له فالتطمَتْ ... سفنُ العقل بموجِ الطُّوفانِ
نفثَ النَّومَ بعيني سحرُه ... فحماني فكرَ باقٍ أو فاني
وأحدَّ الشَّوْقَ طرفي فإذا ... نور وجهٍ لحكيم رحماني
إنه الشَّمسُ تجلَّت في الضحى ... كلُّ أفقٍ بسناها نوراني
نورُه في مظلمِ الأفق سرى ... كمنارٍ في طريقِ الرُّكبان
تنسبُ الأفكار في ألفاظه ... مثلَ ما ينمو شقيقُ النُّعمان
قال: قم يا أيها النائمُ ! هل ... تمخرُ السُّفن سرابَ القيعان
«في طريقِ العِشْقِ بالعقل يُسار؟ ... بسراجٍ تبتغي شمسَ النَّهار»[1]

***

بتوفى

(شاعرٌ مجري قُتِلَ شاباً في الدِّفاع عن وطنه، ولم يعثر على بدنه لتبقى له ذكرى أرضية)

لعروسِ الرِّياض غنَّيتَ حيناً ... زدتَ قلباً جوىً وأسليتَ قلبا
وخضَّبْتَ الشقيق من دمك المسفوك ... وجْداً وجلّ ذلك خضبا
كم بآهِ الصَّباح في المرجِ يسري، ... في صدور الأكمام فَتحْتَ قلبا
نغماتٌ من الجوى ذبت فيها ... في «مزار» القريض تُدفن حبا
وإلى الترب لم تعد بمماتٍ ... ذاك حقٌّ فليس أصلك تربا

---

(١) البيت الأخير للرومي.

جلال وجوته [١]

شـــاعر الألمـــان فـــي رَوضِ إرم [٢] فـــاز بالـــصحبة مـــن شـــيخ العجـــم
شـــاعرٌ يـــشبه ذا العـــالي الجنـــاب مـــا نبيـــاً كـــان لكـــن ذو كتـــاب [٣]
قـــصَّ للعـــارفِ بالـــسرِّ القـــديم مـــا وعـــى إبلـــيسُ والـــشيخُ الحكـــيم
فأجـــابَ الـــشَّيخ: يـــا رب العـــلاء أنـــت صـــيادٌ ولكـــن فـــي الـــسماء
قـــد خـــلا فكـــركَ فـــي القلـــب الـــسليم فأجـــدَّ الـــرُّوح فـــي الكـــون القـــديم
فرأيـــتُ الـــدرَّ فـــي قـــاع البحـــار ودبيـــبَ الـــرُّوحِ مـــنْ خلـــف الـــستار
لـــيس كـــلٌّ قـــد تجلَّـــى العِـــشْقُ لـــه لـــيس كـــلٌّ أهـــل هـــذي المنزلـــه
«قـــد تجلَّـــى لـــسعيدٍ ألمعـــيّ مكـــرُ إبلـــيس وعـــشقُ الآدمـــي»[٤]

***

رسالة برگسون [٥]

إذا مـــا شـــئت أن تحظـــى بـــسرٍّ تبـــوح لـــه الحيـــاة لمـــستجيب
فـــلا تبعـــدْ بنفـــسِكَ عـــن لظاهـــا كمـــا جَفِـــلَ الـــشَّرارُ عـــن اللهيـــب

---

(١) شاعر الألمان جوته صاحب القصة المعروفة فوست. وفي هذه القصة يبين الشاعر درجات تطور الإنسان في إطارٍ من روايةٍ قديمة عن العهد الذي كان بين الحكيم فوست والشيطان، وقد بلغ فيها الفنُّ درجةً لا يدركها الخيال.

(٢) يقصد الشاعر بإرم الجنة.

(٣) شيخ العجمك جلال الدين الرومين والبيت الثاني من قول الجامي عن الرُّومي: ماذا أقول في هذا العالي الجناب - لم يكن «نبياً» ولكن له كتاب -.

(٤) البيت الأخير لجلال الدين الرومي.

(٥) فيلسوف فرنسي.

ولا تـصحَبْ سـوى نظـرٍ عريـف ولا تمـرر بأرْضِـك كالغريـب
ومـا صـورتُه وهـمٌ فأعـدد لعقـلٍ شـبَّ فـي أدب القلـوب

***

حانة الفرنج [١]

عهـدُ حانـاتِ فـرنجٍ ذكَّرنـي يـا خليلـي !
رَبَّـتِ الخمـرةُ فيهـا عـينَ خمَّـار جميـلِ
نظـرة الـساقي رسـالا تٌ لـشرَّاب الـشَّمول
عقلُهـا الخـاتر غـاز عـشقَها كـلَّ سـبيل
جوُّهـا مـا أَشْـعَلَتْه نـارُ آهـاتِ الحيـارى
لـيس فيهـا مِـنْ خليـعٍ فيـه تـرنيحُ الـسُّكارى

***

حكماء [٢]

لوك [٣]

فـارغُ الكـأس أتـى الـروضَ شـقيٌّ [٤] يمـلأ الأكـواب مـن شـمس الـضُّحى

---

(١) يقصد الشاعر في هذه الأبيات إلى ما يعوز الإفرنج من الإيمان وحرارة الوجدان.
(٢) صوَّر الشاعر كلا من هؤلاء الفلاسفة ببيت. وهذه الكنايات لا يدركها إدراكاً تاماً إلا من عرف هؤلاء الفلاسفة، وعرف خصائص كلٍ منهم.
(٣) فيلسوف إنكليزي.
(٤) شقائق النعمان.

كنت [١]

فطـــرةٌ ضـــاءت شـــراباً ولهـــا نجـــم كـــأسٍ مـــن حـــريم الأزل

برگسون

مـــا لـــه مِـــنْ أزلٍ خمـــرٌ وكـــاس نـــاره مِـــنْ حرقـــة القلـــب الـــشَّقيْ

***

شعراء

برونگ [٢]

لـيس فـي كـاس الحيـاة البـرد نـارٌ فبمـــاء الخـــضر كأســـي أمـــلأ [٣]

بايرن

منـــةٌ للخـــضر لا تلهـــبُ صـــدري فبمـــاء القلـــب كأســـي أمـــلأ

غالب [٤]

لأزيـــد الخمـــرَ والـــصَّدر لهيبـــاً أصـــهَر الـــدَّنَّ وكأســـي أمـــلأ

---

(١) فيلسوف ألماني.

(٢) شاعر إنكليزي.

(٣) ماء الخضر: عين الحياة التي شرب منها الخضر، فخلد، وحرمها إسكندر.

(٤) أسد الله غالب شاعر بالفارسية والأردية، يُعتبر شعره حجة باللغة الأردوية، توفي سنة ١٨٦٨م وهذا البيت لغالب نفسه.

obeikandi.com

جلال الدِّين الرومي

أيــن مــزجٌ مِــنْ ســنا جوهرِهــا مِــنْ عــروقِ الكَــرمِ كأسـي أمــلأ

حانات الفرنج

أمــسِ فــي حانــة الفرنجــة وهْنــاً راعنــي قــولُ مــاجنٍ ذي خلاعــه
قــال : ليــست كنيــسةً تغــشاها فــي دُمــىً للغنــاءِ تبغــي ســماعه
إنَّهــا حانــةُ الفــرنج وفيهــا كــلُّ مــا ذمَّــه البريــةُ طاعــه
قــد وزنــا الأعمــالَ فيهــا بــوزنٍ غيــر مــا حــسَّن الأنــامُ اصــطناعه
لا تــزنْ وزنَ أمَّــةٍ ذات ديــنٍ ربِّ ميــزانهم فحــاذرْ متاعــه
كــلُّ قــبحٍ يزيــدُ جاهــك، حــسنٌ كــلُّ حــسنٍ يــضرُّه فهــو شــناعه
إن تفكَّــرت فالحيــاةُ ريــاءٌ وبهــا الــصِّدقُ قولــةٌ خدَّاعــه
إنَّمــا الــصِّدق والوفــاء حجــابٌ يُحــرم الــسَّاعي الغريــرُ ارتفاعــه
شــيخنا قــال: مــوِّهنْ كــلَّ صُــفر بنــضارٍ وزيِّفَــنْ كــلَّ ســاعه
ذاك ســرُّ الحيــاة لا تفــشينه تــربحنْ فــي يــديك كــلَّ بــضاعه

***

القسم الخامس

رقَائِق

ذرَّاتُنـــا ثـــورةٌ تهـــدُر بأنفاســـنا محـــشرٌ مـــضمرُ
لقـد أفْـصَحَ الخـضر فـي الظُّلمـاتِ علـى حـينَ صـاحَبَهُ إسـكندرُ
عـسيرٌ علـى النَّـاس فَهْـمُ الممـاتِ وفهـمُ الحيـاةِ لهـمْ أعْـسَرُ

***

حبـةُ الـدُّرِّ تعـرفُ البحـرَ لكـنْ أيُّ علـمٍ لهـا بـدورِ الرَّحـى ؟

***

يـصرُّ اليـراع لإعـواز لـبٍّ [1] فلـيس لمـرودِ كحـلٍ صـرير

***

طفـتُ بالبيـتِ حـاملاً أصـنامي وأمـامَ الأصـنام «هـو» قـد جـأرتُ [2]
وفـؤادي يـسيرُ خلْـفَ طِـلابٍ فـي طريـقٍ كـشعرةٍ قـد مَـرَرْتُ
يقـولُ ورد روضٍ: عـيشُ الرَّبيـعِ أحلى وصبحُ مرجٍ عندي منَ الجميعِ أحلى
مـن قبـل جـور كـفّ لزينـة تقطفنـي موتٌ بحضنِ نضرٍ من الفروع أحلى

***

(١) يعني لأنه فارق الجوف.

(٢) صاحب بلفظ «هو» يريد الله تعالى.

(٣) وهذا مثال آخر من زيادة التفعيلات على المعهود في العربية وفي القافية المردوفة.

obeikandi.com

يـــا صـــاحبي ذاك قـــولٌ على الحيـــاة دليـــلُ
النَّـــوم مـــوتٌ خفيـــفٌ والمـــوتُ نـــومٌ ثقيـــلُ

***

إنْ تكـــنْ للعفـــو لـــست بأهـــلٍ فـــإلى الأعـــداء فاقـــصدْ بحقـــدك
لا تُقِـــمْ فـــي الـــصدر مـــصنعَ حقـــدٍ لا تـــصبَّ الخـــلَّ فـــي كـــاس شـــهدك
دعِ التـــسائل عـــن طبـــعٍ دقيـــقٍ يـــشقُّ الـــشَّعر فـــي الليـــل البهـــيمِ
لـــشاعرنا زجاجـــاتٌ رقـــائقُ تحطمهـــنَّ أنفـــاسُ النَّـــسيمِ
أيبغـــي وصـــفَ حـــربٍ فـــي حيـــاة «حَبـــابٌ ضـــاع فـــي لـــجِّ عظـــيم ؟»

***

امـضِ فـي الـدُّنيا كنهـرٍ فـي جبـال واعـرف الأغـوارَ فيهـا والنُّجـودا
أو مثـالَ الـسَّيْلِ فـاجْرُف كـلَّ شـيءٍ لا تباليـــه هبوطـــاً أو صـــعودا

***

قطـوفَ الـورد ! لا تجـزعْ لِـشَوكٍ كـذاك الـشَّوكُ مـن نَفَـس الربيـع

***

لا تبتَـــغِ الخـــضابَ والتَّلوينـــا لـــبسُ الـــشبابِ ســـرقةُ الـــسِّنينا

***

رأيـــتُ العِـــشْقَ يـــأبى كـــلَّ وغـــدٍ كميـــتِ الطَّيـــر تأبـــاهُ الـــصُّقور

***

يبـورُ الـشِّعر فـي الأسـواق نقـداً فـلا خُبـزٌ بفـضةِ ياسـمين

***

انتهى

obeikandl.com

اللمعات

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأتُ هذه المنظومة حينما قرأتُ منظومَتي إقبال: «أسرار خودي»، و «رموز بي خودي» ونشرت الأبيات الأولى منها، ثم شُغلتُ عن إتمامها، فلبثتُ أعاودُ النَّظم فيها حيناً بعد حين.

فلما أشرفت ترجمة «پيام مشرق» على النِّهاية عزمتُ على إتمام المنظومة، فتمَّت بحمد الله.

وهي مهداة إلى الشَّاعر العظيم إقبال اعترافاً بفضله.

(عبد الوهاب عزام)

أيُّهـا اللَّيـلُ ! إليـكَ المفـزعُ ... كـمْ حَنَـتْ منـكَ علينـا أضـلعُ ؟

كَـمْ خفينـا فـي غيابـات الـدُّجى ... وملأنـا اللَّيـلَ همَّـاً وشـجا ؟

كـم أَلِفْـتُ الليـلَ أمّـاً حانيـة ... وكرهـتُ الـنَّجم عينـاً رانيـة ؟

كـم أَلِفْـتُ الليـل وحـشاً راقبـا ... مـن شُـعاعِ الـصُّبحِ سـهماً صـائبا

كـم بثـثتُ اللَّيـل سـرّاً كتمـا ... فوعـاهُ الليـل عنِّـي ألمـا ؟

كانـتِ الظَّلمـاءُ لَوْحـاً للألـمْ ... خطَّـتِ الآهـاتُ فيـه كـالقلم !

كـانَ لـي الليـلُ مـداداً فَنَفـد ... وطغـى قلبـي بمـدٍّ بَعْـدَ مـدّ

جاشـتِ الظَّلمـاء موجـاً بعـد مـوج ... وغزانـي الوَجْـدُ فوجـاً بعـد فَـوْج !

فَنِيـتْ هـذي، وهـذا زاخـرُ ... وانجَلَـتْ هـذي، وهـذا غـامرُ

خلتنـــي فـــي الليـــل جمـــراً ســـعرا ونجـــومُ اللَّيـــل منـــه شـــررا
إرَّة قَـــدْ وقـــدتْ فـــي أضـــلعي [١] وســـحابٌ هاطـــلٌ مـــن أدمعـــي ؟

***

كنـــتُ ســـطراً لـــم يُفـــسِّرْهُ أحـــدْ خطَّـــهُ فـــي غيبـــهِ اللهُ الـــصَّمد
فـــي ضـــميري كـــلُّ معنـــىً منـــبهم حـــرت فـــي الإعـــراب عنـــه بـــالكَلِمْ
قـــد ثـــوى العـــالمُ فـــي قلبـــي ومـــا خُـــطَّ شـــيءٌ فيـــه ألاَّ الحـــرفُ «مـــا»[٢]
جـــلَّ قلبـــي أن أراه جـــام جـــمّ [٣] صُـــوَرُ الأقطـــارِ فيـــه تنـــتظم
إنَّمـــا الأقطـــار فـــي قلبـــي العميـــد أحـــرفٌ أوحـــت إلـــى معنـــىً بعيـــد
ربَّ معنـــىً فـــي ضـــميرٍ يكـــتم لـــيس فـــي النـــاس عليـــه مَحْـــرَم [٤]
وقلـــوبٍ رمْـــسُها هـــذي الـــصُّدور أترانـــي مـــسمعاً مـــن فـــي القبـــور [٥]
أنـــا فـــي النَّـــاس فـــصيحٌ أعجـــم نـــاطقٌ فـــيهم كـــأنّي أبكـــم !
صـــمَّتِ الآذانُ عـــن هـــذا البيـــان ضـــاعَ فـــي ضوضـــائهم هـــذا الأذان !
كيـــف يُجـــدي القـــومَ هـــذا الـــنَّغم وعلـــى الآذان رانَ الـــصَّمم ؟
كيف يُجدي القَدْحُ في هذا الحجر ؟ قلبُـــه رخـــوٌ خَلـــيٌّ مِـــن شـــرر
إنَّ خَفْـــقَ القلـــب قـــدحٌ مُجْهِـــدُ بعـــضُه يـــوري، وبعـــضٌ يَـــصْلُد
كيـــف يُجـــدي الـــنفخُ فـــي هـــذا الرَّمـــاد طفـــئ الجمـــرُ ولـــم تـــورِ الزِّنـــاد !

---

(١) الإرة: جبل النار.
(٢) يعني: لم يكن العالم في قلبه إلا نفيا.
(٣) جام جم أو كأس جمشيد، في خرافات الفرس: كأس كانت تُرى فيها الأقاليم السّبعة.
(٤) المَحرم هنا: الأمين على السر، كما يؤتمن المحرم من الأقارب على الحرمات.
(٥) إشارة إلى الآية: (وما أنت بسمع من في القبور) [فاطر: ٢٢].

يَخْـــرِقُ اللَّيـــلَ شـــعاعٌ يَخْفـــقُ ... ثـــمّ يلتـــفُّ عليـــه الغَـــسَقُ
كمنـــارِ البحـــرِ يخفـــى ويَلُـــوح ... فيـه بـين الغيـبِ والـوَمْضِ وُضـوح
أو يـــراعِ اللَّيـــل يخفـــى ويُنيـــر ... فهـو سـطرٌ مـنْ غيـابٍ وحـضور [1]
تـــارةً يبـــدو طريقـــاً لحبـــا ... قامـــت الأنجـــمُ فيـــه نُـــصبا
أو بيانـــاً مـــن بيـــاضٍ وســـوادْ ... كبيـــاضِ الطِّـــرْسِ يعلـــوه المِـــداد
كـــلُّ لـــونٍ فيـــه حـــرفٌ مُفْـــصِحُ ... أُلِّفـــت منـــه سُـــطورٌ وضِّـــح
ورآه تـــــارةً خطـــــاً أجـــــمّ ... وكـــأنَّ الـــضَّوءَ تفـــصيلُ الظُّلَـــم
فهـــو سَـــطْرٌ مـــن ظـــلامٍ أرقـــطُ ... أعجمـــت معنـــاه تلـــك الـــنُّقطُ
كـــلُّ لـــونٍ فيـــه حـــرفٌ أعجـــمُ ... وحـــوى الأحـــرفَ سَـــطرٌ مظلـــمُ [2]
يـــا لُبينـــى أوقـــدي، طـــالَ المـــدى ... أوقـــدي عـــلَّ علـــى النَّـــار هـــدى [3]
أوقـــدي يـــا لـــبُن قـــد حـــارَ الـــدَّليل ... أوقـــدي النَّـــارَ لأبنـــاء الـــسبيل
ارفعـــي النَّـــار وأذكـــي جمرهـــا ... عـــلَّ هـــذا الركـــبَ يعـــشو شـــطرها
شـــرِّدي هـــذا الظـــلامَ الجاثمـــا ... أرشـــدي هـــذا الفـــراشَ الهائمـــا
حبَّـــذا النـــارُ بليـــلٍ توقـــدُ ... حبَّـــذا المـــؤنسُ هـــذا الموقـــدُ ؟
حبَّـــذا عنـــدك هـــذا النـــزلُ ... لـــو حوانـــا فـــي ســـفارٍ منـــزل
مـــا لـــذا المنـــزلِ قـــد ســـار الفريـــق ... إنَّمـــا النِّيـــران أعـــلامُ الطَّريـــق
قـــد ترحَّلنـــا مـــن الفـــجِّ العميـــق ... لا نبـــالي بقريـــبٍ أوْ ســـحيق

---

(١) هذا من قول إقبال: أي كرمگ شبتاب سرايا تو نوراست برواز توبگ سلسله غيب وحضور ست (يا يراعة الليل كلك نور، وطيرانك سلسلة من الغيبة والحضور).

(٢) حاصل المعنى في هذه الأبيات: أن النفس تارةً تدرك إدراكاً واضحاً، وتارةً تُغمُّ عليها الحقائق.

(٣) إشارة إلى الآية في قصة موسى: (لعلي ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) [طه: ١٠].

رنَّ فـــي آفاقنـــا هـــذا النِّـــداء فأممنـــا البيـــت يحـــدونا الرَّجـــاء [١]
قـــد غنينـــا عـــن مبيـــتٍ ومقيـــلْ وعـــن الأمـــواه والظـــلِّ الظَّليـــل
وعـــن الرَّغبـــة والخـــوفِ سُـــوى خُلـــع الـــنعلان فـــي وادي طـــوى [٢]
نحـــن لا نرضـــى بنـــار الغَـــسَق نحـــن لا نرضـــى بنـــور الـــشَّفَق
نحـــن لا نرضـــى بـــنجم الـــصُّبح لاح لا ولا نرضـــى تباشـــيرَ الـــصَّباحْ
نحـــن لا نرضـــى نجومـــاً لامعـــه إنمـــا نبغـــى شموســـاً طالعـــه
قـــد رحلنـــا بـــالجوى والحُـــرقِ وغنينـــا عـــن رســـيم الأينـــق
أيـــن منـــا طـــائراتٌ ســـبَّق جَمَـــعَ الغَـــرْبُ لهـــا والمـــشرقُ
نحـــن ركـــبٌ فـــي جـــواه مُوضـــع لـــم يَـــسَعْهُ فـــي جـــواه موضـــعُ
كـــلُّ حُـــرٍّ ضـــاق عنـــه المـــوطنُ وانطـــوى دون منـــاه الـــزَّمنُ
كـــلُّ طيَّـــارٍ علـــى مـــتن الفكـــر وعلـــى مـــتنِ هيـــامٍ لا يقـــر
طـــائرٌ منـــه يغـــارُ الملَـــك طـــائرٌ مـــن تحتـــه ذا الفلـــكُ
بـــارقٌ فـــي اللَّـــوْحِ لا ينطفـــئُ كـــلُّ غايـــاتٍ لديـــه مبـــدأُ
زوِّدينـــا بهيـــامٍ ووجيـــب زوِّدي يـــا لُـــبنَ مِـــنْ هـــذا اللهيـــب

***

جـالَ فـي الظلمـاءِ نـورٌ مـن نغَـم مُزِّقـتْ منـه ديـاجيرُ الظُّلـم
أشـعاعٌ فيـه صـوتُ صـائحِ أمْ كـلامٌ منـه رونـق لائـح ؟

---

(١) إشارة إلى الآية: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) [الحج: ٢٧].

(٢) النعلان هنا كناية عن الرغبة والخوف والإشارة إلى الآية في قصة موسى: (إنّي أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المُقدس طوى) [طه: ١٢].

أذنَ الرَّكـــب لهـــذا المنـــشدِ أطـربَ الناشـدَ صـوتُ المنـشد [١]
سـال فـي القلـب مـسيلَ المطـر ينبـتُ الـرُّوح بـسهبٍ مقفـرِ
أو خريـرِ المـاء مـن نبـعٍ زُلال بـشَّر الغـارقَ فـي بحـر الرِّمـال
رَنَّ فـي نفـسي رنـينُ الجـرس صـاح فـي أذنـي فقيـدٌ مـبلس
طـوتِ البيـداءُ عنـه الـسَّابله وهـداهُ الـصَّوتُ شَـطْرَ القافلـه
سـبقَ القلـبُ إليـه الأذنـا كـبلالٍ لـصلاةٍ أذَّنـا
دارَ قلبـي شـطرَ هـذا المطـربِ دورةَ الإبـرة شـطر القُطْـبِ
«غنّـي يـا منيتـي ! لحـنَ النُّـشور ابركـي يـا نـاقتي ! تـمَّ الـسُّرور
عُـدْتَ يـا عيـدي إلينـا مرحبـا نِعْـمَ مـا رؤَحـتَ يـا ريـحَ الـصَّبا [٢]»

***

حـذا الـصَّوتُ فَمَـنْ هـذا البـشير ؟ ومـنِ الهـاتفُ بالقَلـبِ الكـسير ؟
ومَـنِ المُـسْعدُ فـي هـذي الهمـوم ؟ ومَـنِ البـارقُ فـي هـذي الغيـوم ؟
ومـنِ الهـابط فـي نـورِ الـسَّما هاديـاً فـي الأرض جـيلاً مظلمـا؟
ومـنِ الهـادي إلـى أرض الحبيـب يعـرف الـنهج وقـد حـارَ اللَّبيـب ؟
ومـنِ الـسَّائقُ شَـطْرَ الحَـرَمِ ،علـى الأصـنام سَـيرَ الأمـمِ ؟
ومَـنِ القـارئُ فـي بيـت الـصَّنم سـورةَ الإخـلاصِ فـي هـذا الـنَّغم ؟
ومَـنِ الحـرُّ الـذي قـد حطمـا مـن قيـود الأسـرِ هـذا الأدهمـا ؟
ومَـنِ الآبـي علـى كـلِّ القيـود مَمَـنِ القـاطِعُ أغـلالَ العبيـد ؟

---

(١) المنشد في الشطر الأول، منشد الشعر، وفي الثاني: الذي يدلُّ على الضَّالة، والناشد: من ينشدها.

(٢) جاء هذان البيتان بألفاظهما العربية في مثنوي جلال الدين الرُّومي.

ومَـنِ الباعـثُ فـي ميـت الأمـم ... ثـورةَ العـزَّةِ مـن هـذي الهِمـم ؟
لاحَ كـالغُرَّة فـي هـذا السَّواد ... بـصَّ كـالجمرة فـي هـذا الرَّمـاد
جـرف النَّـاس أتـيٌّ مزيـد ... ضـلَّ فيـهِ المقتـدي والمرْشِـدُ
وطغـى اللُّـجَّ عليـه والـتطم ... فرساً كالصَّخر فـي هـذا الخِضَم
عـارضَ المـوجَ علـى أغمـاره ... وطـوى اللُّـجَّ علـى تيَّـاره
سـبح اللُّـجُّ وبالـشطِّ استقر ... داعيـا والنـاسُ غرقـى فـي النَّهـر
يجـرفُ التيَّـار جـسماً جامـدا ... تَقْـذِفُ اللُّجَّـةُ قلبـاً خامـدا
إنَّ عـزم الحـرِّ بحـرٌ مُزْبـدُ ... جـائشٌ فـي الـدَّهرِ لا يتَّئِـدُ
هـذه الأقـدارُ فـي تـسيارها ... هِمـمُ الأحـرارِ فـي أسـفارها [1]
ومـنِ الـشَّاعر يُـذكي القافيـه ... فهـي نـورٌ وهـي نـارٌ حاميـه ؟
تَقْـشعرُّ الأرضُ مـن أوزانـه ... ويهـيمُ الـنَّجمُ مـن ألحانـه
وكـأنَّ الـدَّهرَ صـوتٌ كُتِبـا ... قـد حكـاه الـشِّعر لحنـاً مطربـا [2]
هـو بالأشـعار بحـرٌ فـائض ... وهـو للأزمـان قلـبٌ نـابض
حدَّثتـه الأرض عـن أخبارهـا ... وحَبَتْـهُ الزُّهـر مـن أسـرارها
هـو بـالأمسِ خبيـرٌ بِغَـدِ ... وهـو اليـومَ نجـيُّ الأبـد
كَـشَفَ اللهُ عـن الغيـبِ لـه ... فلـسانُ الغيـب يُملـي قولـه
عَـرَفَ الـشَّرقَ وراد المغربـا ... فـانجلى الـسِّرُّ لـه مـا كُـذبا
جاهـدٌ فـي الخيـرِ لا يتَّـد ... عزمُـه فـي صَـدرِه يتَّقِـدُ
وفقيـرٌ وغنـاه لا يُحَـدّ ... فقـره اسـتغناؤه عـنْ كـلِّ يـد

---

(١) هذه: مبتدأ، وهمم: خبر.

(٢) يعني: أنّ الدّهر أمام الشّاعر كعلامات الموسيقا، والشعر قراءة هذه العلامات.

هـــو بـــاللهِ وفـــي اللهِ غنـــيّ ضـاقَ عـن هـذا الغنـى كـلُّ ثـري

***

صغار الهمم

إنَّ فـــي النـــاس قلوبـــاً جامـــدة جـــذوةُ الإقـــدامِ فيهـــا خامـــده
همُّهـــا مـــا يبتغيـــه الجـــسدُ كـــلُّ مـــا تهـــوى طعـــامٌ وددُ
حـــدَّدَت آرابُهـــا آفاقَهـــا فحكـــتْ فـــي ضِـــيقها أخلاقَهـــا
لا تبـــالي حـــين تبغـــي أربـــا عُمِـــرَ الكـــونُ بـــهِ أم خَرِبـــا
إنَّمـــا قانونهـــا أهواؤهـــا سُـــخِّرتْ فـــي نفعهـــا آراؤهـــا
وتـــرى أهواءهـــا تغلبُهـــا كـــلَّ حـــينٍ فـــي هـــوىً يجـــذبُها
وإلـــى الأرض تراهـــا مُخْلِـــدَه لا تُـــرى نحـــو المعـــالي مُـــصْعده
إنَّمـــا آفاقُهـــا هـــذا البـــدن إنَّمـــا مَبرَكهـــا هـــذا العَطَـــن
إنَّمـــا أحياؤهـــا كـــالرِّمم خامـــداتِ العَـــزم مـــوتى الهِمَـــم

***

العالمُ مَعْبد

إنَّمـــا العـــالَمُ طُـــرّاً مَعْبـــدُ كـــلُّ مَـــنْ أحـــسنَ، فيـــه يَعبُـــد
كـــلُّ مـــن أدلـــى بقـــولٍ طيّـــبِ ينبـــتُ الخيـــرَ كغيـــثٍ صـــيّبِ
كـــلُّ مـــن أحـــسن يومـــاً عمـــلا كـــلُّ مـــن أحيـــا مواتـــاً همـــلا
كـــلُّ مـــن فـــي أرضـــه قـــد زرعـــا ليقيـــتَ النَّـــاس والعُجـــم معـــا
كـــلُّ مـــن يغـــرسُ مخـــضرَّ الـــشَّجر فيـــه للإنـــسان ظـــلٌّ وثمـــر

كل من ينبطُ بئراً في السبيل تنفعُ الظمآن من حرِّ الغليل
كل من يبني بناءً حسنا كلُّ من في صنعه قد أتقنا
كلُّ مَنْ أحدثَ علماً للبشر ينفعُ الناسَ ولم يقصدْ لشر
كلُّ منْ أحدث فكراً مُحكما يبتغي للناس خيرا عمما
كلُّ مَنْ جدَّ وإنْ لم يجد لم يضع وقتاً بلهوٍ ودِدِ
كلُّ منْ أثَّر فيها أثرا خالداً للخَيرِ ما بينَ الورى
كلُّ منْ في دهره قد أجملا فكرةً أو قولةً أو عملا
كلّهُم للهِ نِعمَ العابدُ كلُّهم للخيرِ نعْمَ القاصدُ
فاصطنع للخيرِ فكراً ويدا ولساناً وابغِ في الخير يدا

***

لا رهبانية في الإسلام

ليس منا من ثوى في صومعه يحبسُ الأعمال والفكر معه
ضاق نفساً عن مجالٍ وسعا فثوى في ضيقهِ قد خَنَعا
ليس شيئا أن تُرى معتزلا عابداً تخشى البرايا وجِلا
إنَّما العابد من خاضَ الحياة موضحاً فيه سبيلاً للنَّجاة
آخذاً بالعَدلِ ما عنه حِول ذاكراً مولاه في كلِّ عمل
إنَّه بالحق موصولٌ ومَنْ يتَّصل بالحقِّ لا يخشَ الفتن
ثورةٌ مضمرةٌ في حلمه إنْ يفكِّرْ ظالمٌ في ظلمه
أرأيت الصَّقْرَ في متنِ الرِّياح يطلبُ الرزق بعزمٍ وجناح
طائراً في الجو يسمو عازما لا يُرى حول الدَّنايا حائما

يأكلُ الجوع ولا يرضى الجيف ... لو يراه الجوعُ يوماً ما أسف
فإذا الجدُّ رماه في الشَّرك ... لم يطقْ صبراً عليه فهلك
ليس يحوي الجرَّ يوماً شبكُ ... فأسار الجرِّ فيه مهلكُ
يا فتى هذا الجهادُ الأكبر ... عزماتُ الحرِّ فيه تُختبر
قلَّ في النّاس عليه صابرُ ... ليس إلا الحرُّ فيه ظافر
يا أسير الوَهْمِ أقدم لا تُبل ... وامضِ فيمن صحَّ عزماً واتّكل

***

معنى التَّوَكُّل

مَنْ يَنَم عن سعيه لا يتّكل ... إنما التكلانُ سعيٌ متّصل
مُقدمٌ في أمره المتّكِلُ ... واثقٌ بالله فيما يأمُلُ
عازمٌ ماضٍ على خيرِ سنن ... لا يبالي بِعِقابٍ أو مِحَن [1]
أرأيتَ الطَّيرَ في نورِ الصَّباح ... تطلب الرزق بعزمٍ وجناح
إنَّها تخرجُ في كفِّ القدر ... مقدماتٍ لا تبالي بالخطر
طالباتِ الرزق في كلِّ رجا ... تملأ الجوَّ وثوقاً ورَجا
يا لها من أملٍ قد صوَّرا ... طائراً يطلب رزقاً قُدِّرا
أرأيت العَزْمَ في شكل جناح ... خافقاً لا يثني دونَ النَّجاح
لا يصد الطيرَ خوفُ التَّهلُكه ... أو تبالي بطريقٍ مهلكه

(١) العقاب: جمع عقبة.

ضـــرب المختـــار هـــذا مـــثلا ... للـــذي يـــسعى عظيمـــاً أمـــلا [1]
أرأيـــت الطَّيـــر فـــي أوكارهـــا ... راجيـــاتٍ رزقهـــا فـــي دارهـــا ؟
ثاويـــاتٍ تبتغـــي أرزاقهـــا ... لـــيس تَـــذْري مـــنْ إليهـــا ســـاقها
مـــن ونـــى فـــي ســـعيه لـــم يتّكِـــلْ ... إنَّـــه للـــوهمِ والعَجْـــزِ وكـــل
إنَّمـــا الـــتُّكلان عـــزمٌ وعمـــل ... إنَّـــه الإقـــدامُ فـــي ضـــوء الأمـــل
إنَّـــه الإعـــداد والعـــزم معـــا ... إنَّـــه الحـــرُّ إلـــى القـــصد ســـعى
إنَّـــه التقـــديرُ فـــي ســـعي البـــشر ... هـــو عنـــدَ الله مـــنْ بعـــضِ القـــدر
هِمَـــمُ الأحـــرار فـــي إيمانهـــا ... سُـــنَنُ الخـــلاَّق فـــي أكوانهـــا
ســـنةُ الله التـــي لا تبـــدَّلُ ... مـــا لهـــا كـــرُّ الليـــالي حـــوَّلُ

***

غفلة بعض المسلمين عن معنى التوكل

آهِ مـــنْ لـــي بقلـــوبٍ واعيـــه ... مُقـــدِماتٍ فـــي المعـــالي ســـاعيه
آهِ مَـــنْ يفقـــه هـــذا الكَلِمـــا ؟ ... آهِ مـــنْ يـــدركُ هـــذا النَّغمـــا ؟
أيُّهـــا المـــسلمُ مـــاذا قَـــدْ عـــدا ؟ ... كنـــتَ فـــي الأرض جهـــاداً وَهُـــدى
آهِ للنُّـــور الـــذي قـــد طفئـــا ... آهِ للقَلـــبِ الـــذي قَـــد صَـــدِئا
آه للنَّـــار التـــي تـــشتعل ... فيـــضيء الأرضَ منهـــا شُـــعَلُ
خَمَـــدتْ فالقلـــب بـــردٌ وهمـــود ... خَمَـــدَتْ فـــالنَّفس عَجْـــزٌ وركـــود

---

(١) جاء في الأثر: لو توكلتم على الله حقَّ التوكل؛ لرُزقتم كما ترزق الطير؛ تغدو خماصاً، وتروح بطانا.

إنَّ هـــذا القـــول زِنْـــدٌ وحجـــر ... ليـت شـعري هـل لديـه مـنْ شـرر
إننـــي أُضْـــرِمُ هـــذا الألمـــا ... علَّـــه فـــي القلـــب يـــذكي ضَـــرَما
إننـــي أنفـــخُ فـــي هـــذا الـــسَّواد ... عـــلَّ جمـــراً محرقـــاً تحـــت الرَّمـــاد
علَّنـــي أُذهـــبُ هـــذا الخبْـــا ... علَّنـــي أمْحَـــقُ هـــذا العبْـــا
إنَّنـــي أبعـــثُ فـــيهم نغمـــي ... علَّنـــي أبْعـــثُ مَيْـــتَ الهمـــم
إنَّنـــي أُمْطـــرُ فـــي أرضٍ مـــوات ... علَّهـــا تُنبـــتُ ألـــوان النَّبـــات

***

الأمل

لا ترانـــا فـــي جهـــادٍ نيـــأس ... لَـــيْسَ مِـــنْ أُمَّتنـــا مَـــنْ يئـــسوا
أشـــعل الإيمـــان فـــي كـــلِّ دُجـــى ... واقـــدحِ العـــزم إذا الهَـــولُ دجـــا
وارفَعَـــنْ فـــي كـــلِّ ليـــلٍ شُـــعَلا ... وابعـــثن مِـــنْ كـــلِّ يـــأسٍ أمـــلا
وصـــلِ القَلـــبَ بخـــلاَّق الرجـــاء ... واخلقَـــنْ فـــي كـــلِّ حـــينٍ مـــا تـــشاء
إنمـــا الإنـــسانُ فكـــرٌ وعَمَـــل ... يَـــصْدعُ الظلمـــاءَ فـــي نـــور الأمـــل
أمـــل الإنـــسان فـــي القلـــب ضـــياء ... وهـــو فـــي الكـــفِّ جهـــادٌ ومَـــضاء
إنَّـــه النَّـــار التـــي تَـــشْتَعلُ ... إنَّـــه الـــنَّجمُ الـــذي لا يأفُـــلُ
إنْ دَجَـــا باليـــأس ليـــلٌ غَيْهَـــب ... يَـــصْدَعُ الظُّلمـــةَ هـــذا الكوكـــبُ
هـــو وَحْـــيُ اللهِ يهـــدي عبـــده ... ويُرِيـــه فـــي الـــدَّياجي قَـــصْدَه
هـــو نـــورُ اللهِ فـــي أفـــق النجـــاه ... هـــو هـــدي اللهِ فـــي هـــذي الحيـــاه
إنَّـــه القُطـــب إليـــه يَنْـــزعُ ... كـــلُّ قلـــبٍ وإليـــه يَفْـــزعُ
إبـــرةٌ تهـــدي إلـــى قَـــصْدِ الـــسبيل ... تَقـــصدُ القُطـــبَ وعنـــه لا تميـــل

يـــا دلـــيلاً هاديـــاً فـــي كـــلِّ واد ... أنـــت ســـرُّ اللهِ فـــي كـــلِّ فـــؤاد
يَقْـــدحُ القلـــبُ إذا مـــا خفقـــا ... شـــرراً منـــه منيـــراً مُحْرِقـــا
فهـــو نـــورٌ وهـــو نـــارٌ يَلْـــذَعُ ... يوضـــح الـــنَّهج وفيـــه يَـــدْفعُ
فاؤمُـــل لخيـــرٍ وصـــابرْ لا تمـــلّ ... إنَّمـــا الـــدُّنا رجـــاءٌ وَعَمَـــل
وقـــضاءُ اللهِ عـــونُ الآملـــين ... وهـــو فـــي عَـــونِ الأبـــاةِ العـــاملين
لا يـــردُّ الله قلبـــاً آمـــلا ... لا يـــردُّ الله عبـــداً عـــاملا
ربَّ عبـــدٍ مخلـــصٍ قـــدْ أقـــسما ... فـــأبرَّ اللهُ مِنْـــهُ القـــسما [1]
وجهـــادُ العبـــد أولـــى أن يُبـــر ... إنَّـــه الفعـــلُ علـــى القـــولِ أبـــر
إنَّ عـــزمَ الحـــرِّ فيـــه قَـــسَمُ ... مُـــضْمَرٌ يَعْلَمُـــه مَـــنْ يَعلَـــمُ
قـــد تـــولَّى اللهَ هـــذا المقـــسِمُ ... فـــدعاه فـــي يقـــيْنٍ يقـــسم

***

الوجدان السليم

ذلـــك الوِجْـــدانُ إنْ لـــم يـــصدأ ... مِـــنْ غَـــشاواتِ الهـــوى أو يُطفـــأ
أو تحجبـــه ريـــاحٌ عاتيـــه ... صَرْصَـــرُ الأهـــواءِ فيهـــا ســـافيه
أو يجلِّلْـــهُ ظـــلامُ الغفلـــة ... أو يَحْجُبْـــه حِجـــابُ الشَّهـــوة
أيقـــظِ الوِجـــدان يـــا مَـــنْ غفـــلا ... فمـــضى يحيـــا حيـــاةً همـــلا
أيقـــظِ الوِجـــدان واســـمع وَحْيَنـــهُ ... أيقـــظِ الوِجـــدان واتبَـــع هديـــه
إنَّـــه المـــرآة، إمَّـــا صُـــقِلا ... تبـــصرِ العـــالَمَ فيـــه مـــثلا
اجلُـــه بـــالفكر والعلـــم معـــا ... واجلُـــهُ بالـــذِّكرِ حتَّـــى يـــسطعا

---

(١) إشارة إلى ما جاء في الأثر: «ربَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

لا تُـضِعْ فـي الـسُّوق هـذا الجـوهرا ... لا تُطِـعْ مـن بـاع فيـه واشـترى
لا تُـضِعْ فـي لغـوهم هـذه الحِكَـمْ ... لا تَغُـل ضوضـاؤهم هـذا الـنَّغم
نحـن فـي الـدُّنيا حوانـا مَهْمَـهُ ... مَجْهـلٌ أعلامـه تـشتبه
تقـصِد المنـزلَ هـذي القافلـه ... فـي فيـافٍ خـافَ فيهـا الـسَّابله
فـاتبَعَنْ خِرِّيتهـا لا تُـبلِس ... وأصِـغْ فيهـا لِـصَوتِ الجَـرَس (١)
إنـه الوِجـدان فـي هـذي الفـلاه ... إنَّـه داعٍ يُنـادي للنَّجـاه
أرأيـتَ الفُلـكَ تـسري مـاخره ... فـي ليـالٍ وبحـارٍ زاخـره
تهتـدي فيهـا بِنُـورٍ بـارقِ ... مـن منـارٍ فـي الـدَّياجي خـافقِ
تهتـدي الـنَّهجَ علـى لمحاتـه ... وتـوقَّى الـصَّخر مـن ومـضاته
وهَـدتها إبـرٌ لا تَغفُـل ... قاصـداتٌ قطبَهـا لا تعـدلُ
إنمـا الوجـدان فـي بحـر الحيـاة ... إبـرةُ القطـبِ ومِـصباحُ النَّجـاة

***

طغيانُ العقلِ على القَلبِ

محنـةٌ للنـاس هـذا الـزمنُ ... كـلُّ إنـسانٍ بـه مُمْـتَحنُ
كـلَّ مـا نبـصرُ فيـه فـتنُ ... فـتنٌ فيهـا تحـارُ الفِطـنُ
أُطلِـقَ الإنـسانُ مِـنْ أغلالـه ... سُـيِّبَ الـشَّيطانُ مِـنْ أحبالـه
جُـرِّدَ العـالمُ مـن أسـتاره ... وانبـرى يكـشفُ عـن أسـراره
وأجـال الفكـرَ فـي طيَّاتـه ... ومـضى يبحـث فـي ذرَّاتـه

---

(١) جرس القافلة، وفيه إشارة إلى قول سعدي الشيرازي - ما زمنز مقصود من خبريم - أبن قدرهست كه بانگ جرس ميآيد.

وأحـــاط الأرض مـــن أقطارهـــا ومـــضى يبحـــث فـــي أغوارهـــا
فارعـــاً فـــي ظهرهـــا أجبالهـــا مخرجـــاً مـــن بطنهـــا أثقالهـــا
طـائرا فـي اللـوح مـن فـوق السَّحاب حيـــثُ لا يطمـــع صَـــقْرٌ أو عُقـــاب
طاويـــاً أقطارَهـــا لا يغتـــرب كـــل مـــا يـــسمو إليـــه يقتـــرب
يـــسمَعُ الهمـــسَ بأقـــصى المغـــربِ مـن بأقصى الشَّرق فاسمع واعجبِ
ضـــاقت الأرض عليـــه فـــانتحى فـــي ذُرى الأفـــلاك يبغـــي مـــسرحا

***

آه لـــو أُعطـــي قلبـــاً خافقـــا مثـــل مـــا أعطـــي عقـــلاً بارقـــا
آهِ لـــو يعمـــر قلبـــاً راحمـــا مثـــل مـــا يَعْمـــرُ عقـــلا راجحـــا
آهِ لـــو أعْمَـــرَ عينـــاً ســـاجمه مثـــلَ مـــا أعمـــل كفَّـــاً حاطمـــه
آهِ لَـــو هَذَّبـــهُ إيمانُـــه مثـــلَ مـــا مكَّنَـــهُ عِرْفانُـــه
آهِ لـــو لـــم يُعْمِـــه طغيانُـــه فيهـــدِّم فوقَـــه بنيانـــه
ليتَـــهُ لـــم تُطْغِـــه أعمالُـــه ليتـــه لـــم تُعمـــه أموالُـــه
ليتـــه لـــم تعْـــشه أضـــراؤه وتـــوقِدْ ســـمعَهُ ضوضـــاؤه
آه لـــو أنَّ شـــعاع الكهربـــاء فـــي ظـلام الـصَّدر منـه قـد أضـاء
ويلـــه مـــن مـــاردٍ قـــد دمَّـــرا مـــا بنـــاه مخربـــاً مـــا عمـــرا
ليتـــه حـــاط الـــذي قـــد شـــيدا بوئـــامٍ وســـلامٍ وهـــدى
ليتـــه حـــاطَ الـــبلاد الزاهـــرة ليتـــه صـــان الجِنـــان النَّاضـــرة

***

إنَّ هـــذا العـــصرَ روضٌ مُزهْـــرُ كـــلُّ غُـــصنٍ فيـــه نـــامٍ مثمـــرُ

نَـضرتْ فيـه فنـون الزَّهـر ... أينَعَـتْ فيـه ضُـرروبُ الثَّمـر
آهِ لكـنْ فـي مهـبِّ العاصـفة ... كـلَّ حـينٍ تعتريـه جائفـة
صَرصـرٌ تـأتي عليـه لا تَـذَرْ ... تَحْطـم الأغـصانَ فيـه والشَّجر
يَخْـرُبُ البـستان مـنْ قـد غرسـا ... يَهـدم البُنيـانَ مـنْ قـد أسَّسا
كـلُّ طـاغٍ يـدَّعي البـستانَ لـه ... يبتغـي الأشـجار والبنيـانَ لـه
لـو تـآخوا واهتـدوا واستثمروا ... ثـمَّ أسـمى عـدلُهم مـا دمَّـروا
لأوَوْا مِنـه إلـى ظـلِّ ظليـل ... ورأوا فـي زهـره كـلَّ جميـل
وجنـوا أثمـاره وانتفعـوا ... ونمـا بـستانهم واسـتمتعوا
فتعـالوا ننظـرِ الـداءَ العـصيّ ... ونـرى الأسباب فـي الـداء الـدَّويّ
إنَّ هـذا الـشِّعر لا يحـصي العِلَـل ... إنَّـه يعيـا بـذا الأمـرِ الجَلَـل
إنّـه لمحـةُ عـينٍ عـابره ... ليتـه كـفُّ طبيـبٍ مـاهره
إنَّـه نفثـةُ نفـسٍ شـاعره ... ليتهـا كـفُّ حكـيمٍ قـادره

***

البيت

معبـدٌ لله مـا أطهـره ... فيـه سـرُّ الله مـا أظهـره
روضـةٌ يَنْبُـتُ فيهـا الخَلِـقُ ... وتـرى الحـقُّ عليهـا يُـشرِقُ
تنـشأ الخيـراتُ فيـه وتـربّ ... مـن رأى الخيـر لـه أمٌّ وأبّ !
أنفـسٌ فيـه كـنفسٍ واحـدة ... ألفتهـا فـي حماهـا الوالـدة
بـل شـكولٌ مُثلِـث للوالـد ... كالمرايـا حـولَ وجـهٍ واحـد
كلُّهـا حـبٌّ وإيثـارٌ فـلا ... حـسدٌ فيهـا ولا حقـدٌ ولا

فـــأخٌ يفـــدي أخـــاه جاهـــدا ... وكـــلا الـــصنوين يفـــدي الوالـــدا
وتـــــرى الأمَّ علـــــيهم حانيـــــه ... تَـــسْهَرُ اللَّيـــــل إلـــــيهم رانيـــــه
وأبـــــوهم فـــــي غـــــدوٍّ ورواح ... يبـــسط الحـــبَّ علـــيهم والجنـــاح
روضـــــةٌ للحـــــبِّ فيهـــــا مـــــثُلا ... كـــــلُّ غـــــصنٍ بأخيـــــه اتـــــصلا
كـــــلُّ خيـــــرٍ هاهنـــــا منبعـــــه ... كـــــلُّ بـــــرٍّ هاهنـــــا مطلعـــــه
مَـــسْجدٌ يَـــسْعَدُ فيـــه الوالـــدان ... وهمـــــا الخـــــلاَّقَ فيـــــه يَعْبُـــــدان
يَعْبُـــدُ الـــرَّحمنَ مـــن قـــد عبـــدا ... والديـــــه وإلـــــى البـــــرِّ اهتـــــدى
فـــإلى توحيـــده مِـــنْ غيـــرِ بَـــين ... قَـــرَنَ الـــرَّحمن بـــرَّ الوالـــدين
إن تـــــشاؤوا مـــــثلا لا يُـــــدفَعُ ... بيِّنـــــاً كالـــــشمس نـــــوراً يطلـــــع [1]
فـــاقرءوا يـــا قومنـــا كـــي تـــشهدوا ... (وقـــــضى ربُّـــــك ألا تعبـــــدوا)
(واعبـــــدوا الله) فهيـــــا فـــــاقرءوا ... (قـــل تعـــالوا أتـــلُ) فيهـــا النبـــأ [2]
أحكمـــــوا الأســـــرةَ مِـــــنْ قرآنهـــــا ... وارفعـــــوا بالـــــدِّين مِـــــنْ بنيانهـــــا
واعمـــــرا البيـــــت ببـــــرٍّ ووفـــــاء ... وســـــلامٍ ووئـــــامٍ وإخـــــاء
إنَّ هـــذا البيـــت فـــي نظـــم الأمـــم ... مثـــل بيـــت الـــشعر فـــي نظـــم الـــنَّغم
كـــــلُّ بيـــــتٍ أُلِّفَـــــت آحـــــادُه ... آزرت أســـــبابُه أوتـــــادَه
ونِظـــام البيـــتِ مِـــن نظـــم الكَلِـــم ... كـــــلُّ لفـــــظٍ بأخيـــــه ينـــــتظم
كـــلُّ لفـــظٍ مـــن حـــروفٍ أُلِّفـــا ... كـــــلُّ حـــــرفٍ بأخيـــــه ائتلفـــــا
ونظامـــاً واحـــداً يُبنـــى القـــصيد ... لـــيس فيـــه مـــن قـــصورٍ أو مزيـــد

---

(١) الآية: (* وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) [الإسراء: ٢٣].

(٢) الآيتان: (* واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) [النساء: ٣٦] (* قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) [الأنعام: ١٥١].

في قوافٍ ألّفت أبياتها ... وروي ناظمٍ أشتاتها
ومعانٍ بعد هذا غاليه ... ترتقي الأنفس فيها عاليه
هل رأيتم قطُّ مِنْ شعرٍ رفيع ... كلُّ بيتٍ فيه ذو معنىً وضيع
كيف تُبنى للمعالي أُمَمُ ... من بيوتٍ جمعها لا يُنظَمُ
من بيوتٍ في خلافٍ وشقاق ... يؤذنُ البيتُ أخاهُ بالفراق
كل بيتٍ فيه لفظٌ ثائر ... كلُّ لفظٍ فيه حرفٌ نافر
لا تقل فيها زحافٌ وعلل ... بل شذوذٌ وسنادٌ وخَلَل

***

ليت شعري ما أصاب المسجدا ... ما أصاب الخيرَ فيه والهدى
لا أرى جمعاً لديه نُظِما ... لا ولا صفّاً لديه قوِّما
ما أحسُّ اليومَ ترتيلَ القُرَان ... لا ولا أسمعُ ترجيعَ الأذان
خرس المنبرُ عن أصواته ... عطلَ المحرابُ من آياته
ذهبَ العبَّادُ عنه قددا ... ومضوا في كلِّ أفقٍ بددا
غَلَب الملهى عليه والطريق ... ومضى في غيّه كلُّ فريق

***

روضةُ البيتِ أراها ذوايه ... كانت الأمس زهورا زاهيه
صوَّحَت أعشابُها والشَّجر ... وذَوَت أوراقُها والزَّهر
صدَفَتْ عنها عيونٌ واقيه ... وحمتها الماءَ أيدٍ ساقيه
غاب بستانيُّها دون إياب ... فطغى الشَّوكُ عليها والتُّراب
إنَّها يا قومنا إحدى الكبرُ ... أنعِموا التفكير فيها والنظَّر

هـي أصـل الـدّاء أو أصـل الـدواء نعمـةُ الأقـوام فيهـا والـشّقاء

***

اعمـروا بـالخيرِ هـذا المـسجدا وابتغـوا الخيـراتِ فيـه أبـدا [1]
اعمـروا البيـتَ وردوا والديـه واجعلـوه حرمـاً يـؤوى إليـه
نـضِّروا الرَّوضـةَ مـن إروائهـا وابتغـوا النِّعمـة فـي أفيائهـا
أرجعـوا الطيـرَ إلـى أوكانهـا ليـشبَّ الولـدُ فـي أحـضانها
ألِّفـا الأحـرف فـي كِلماتهـا وانظمـوا الأمـة مـن أبياتهـا

***

تنافر الجماعة

إننـا نُبـصر فـي كـلِّ مكـان حـسرةَ الأنفـس فـي هـذا الزَّمـان
مـن وجـوهٍ مـات فيهـا الخَفـرُ وعيـونٍ حـارَ فيهـا النَّظَـرُ
يلعـن الوجـه أخـاه نـافرا يـبغُض الطَّـرفَ أخـاه نـاظرا
قطَّعـوا مِـنْ بيـنهم كـلَّ سـبب هجـر النَّـاسُ حيـاءً وأدب
ثـورةً تبـصرها كـلَّ طريـق يتجلـى الهجـر فيهـا والعقـوق
ليـست الأمُّ بهـا أمـا تـرى لا ولا الوالـدُ فيهـا عـزّرا
لا ولا الأخـتُ لهـا حرمتُهـا مـن أخيهـا وُقِـدَتْ حـسرتُها
لا صـغيرٌ قـد رعـى حـقَّ الكبيـر أو كبيـرٌ راحـمٌ ضـعف الـصَّغير
فنـرى فـي قبحهـا أفعالَهـا تـسمعُ الألفـاظ أصـداءً لهـا

---

(١) المسجد: هو الأسرة.

openkanal.com

تلكَ فيضٌ من قلوبٍ في نفور ... تقدحُ النيران منها في الصُّدور
إنَّما الناس صلاحٌ وفساد ... بالتئامٍ أو شِقاقٍ وعناد
ولا نبصرُ آحاداً ولا ... نبصرُ الحُبَّ بها متصلا
إنها الأعداد في غير حساب ... لم يؤلفها على النَّهج احتساب
ومن الأعداد بُغضٌ واختلاف ... ومن الأعداد حبٌّ وائتلاف
ومن الأعداد حِقدٌ وشِقاق ... ومن الأعدادِ رُحمٌ ووفاق
فإذا سارتْ على غير سَنَن ... فهي بغضٌ وشقاقٌ وفتن
وإذا ألَّفتها في قاعدة ... فاستقامت في طريقٍ واحده
فهي نظمٌ وائتلافٌ واطِّراد ... وحسابٌ بالغ كل مراد
فانظروا ما النَّظم في أعدادنا ... وانظروا ما الجمع في آحادنا
انظموا هذي القلوبَ النافرة ... واجمعوا هذي الوجوهَ الثائرة
املئوا الأنفسَ خيراً وهدى ... واجمعوا بالحُبِّ هذا البددا
اغسلوا بالحُبِّ هذا الدَّرنا ... أطفئوا بالودِّ هذا الضَّغنا

***

ما ينالُ الحُبُّ يوماً بالهوى ... إنَّما الأهواء أسبابُ النَّوى
يجمعُ الحقُّ نفوساً شارده ... إنَّ للحقِّ طريقاً واحده
ليس إلا الحقُّ في جمع القلوب ... ما سوى الحقِّ إليه نستجيب
أرضعوها الحقَّ في ألبانها ... أشعروها الحقَّ في أحضانها
واجعلوهُ قبلةً في كلِّ حين ... لا تزيغوا عن شمالٍ أو يمين
ومن الحقِّ إلى الخيرِ طريق ... ليس إلا الحقُّ للخير رفيق
ومن الخير إلى الحبِّ المسير ... ومن الحبِّ إلى الجمع المصير

لا يُـــرى للحـــقِّ إلا مَـــشْرِق ... كـــلُّ حـــقٍّ مـــن ســـناه يُـــشْرقُ
لـــيس للخيـــرات إلا منبـــعُ ... كـــلُّ خيـــرٍ مـــن جـــداه ينبـــعُ
إنَّمـــا للحـــبِّ نهـــرٌ واحـــد ... كـــلُّ ينبـــوعٍ إليـــه عائـــد
مَنْبـــعُ الحـــقِّ هـــو الحـــقُّ المبـــين ... بـــاريٌ بـــالحقِّ كـــلَّ العـــالمين
منبـــعُ الخيـــرِ هـــو البـــرُّ الـــرَّحيم ... بـــرُّه فـــي خلقـــه فـــيضٌ عمـــيم
منبـــعُ الحـــبِّ هـــو الله العلـــي ... هـــو مـــولى للبرايـــا ووَلـــي
فأضـــيئوا الـــنفس مـــن إيمانهـــا ... وانظـــروا الآيـــاتِ مـــن إحـــسانها
املـــؤوا الأنفـــس مـــن لحـــمٍ ودم ... فيـــه قلـــبٌ كـــسراجٍ فـــي ظلـــم
ذلـــك اللحـــم إلـــى مـــاءٍ وطـــين ... ذلـــك النُّـــور لـــربِّ العـــالمين
فـــإذا أطفـــئ فيـــه ذا الـــضِّياء ... فهـــو وحـــشٌ همُّـــه ســـفكُ الـــدِّماء
إنَّ هـــذا الجـــسمَ ذو وزنٍ وحـــد ... وبهـــذا القلـــب كـــونٌ لا يُحَـــدّ
هالـــكٌ مَـــنْ عـــاش فـــي ضـــيقِ الجسد ... مـــن يعـــش فـــي وســـعة القلـــب خَلـــد
أنـــت فـــي جـــسمك مِـــن طـــينٍ ومـــاء ... أو قـــوامٍ فيـــه لحـــمٌ ودمـــاء
أنـــت فـــي الـــروح حيـــاةٌ وطمـــاح ... ورجـــاءٌ وجهـــادٌ وكفـــاح
أنـــت فـــي قلبـــك ســـرُّ العـــالمين ... فيـــه أمـــرُ اللهِ للخلـــقِ مبـــين
لا يحـــدُّ القلـــبَ فـــي الآفـــاق حـــدّ ... إنَّـــه يكبـــرُ عـــن وزنٍ وعـــد
أيُّهـــا الغافـــلُ عـــن ســـرِّ الإلـــه ... انظـــرنْ فـــي القلـــبِ يومـــاً لتـــراه
ضـــاق عـــن أمـــرِ الإلـــه العـــالمُ ... وحـــواه القلـــب، هـــذا الخـــاتمُ
كـــلُّ مـــا أدركـــت مـــن معنـــى جميـــل ... كـــلُّ مـــا أبـــصرتَ مِـــنْ أمـــرٍ جليـــل
كـــلُّ مـــا أوعـــاهُ تـــاريخُ البـــشر ... مـــن جـــلالٍ وجمـــالٍ وعبـــر

كلُّ ما سُجِّلَ عن أخياره ... كلُّ ما حُدِّث عن أبراره
هو نورُ الله في القلب الصغير ... أو تجلِّي اللهِ في الكونِ الكبير [1]
هو نبضُ القلبِ في الدُّنيا انتشر ... هو خفقُ القلب يرمي بالشرر
إنَّما الإيمان بالدُّنيا يدور ... فهو نار في دجاها ويثور
فاجعلوا مِنهُ تباشيرَ المنى ... واملئوا الآفاقَ منه بالسَّنا
ارفعوا الأنفسَ فيه صاعده ... ارفعوها عن معانٍ خامده
عن متاعٍ وطعامٍ وشراب ... ومعانٍ كلُّها نبتُ التُّراب
قيمة الإنسان قلبٌ للعُلى ... لا رياشٌ ومتاعٌ للبلى
كلُّ ساعٍ قَدرُه بغيتُه ... وزنُه بين الورى مَنبتُهُ
أيُّها القانع دوداً في تراب ... حلِّقنْ في جوِّها مثل العُقاب
أيُّها السادرُ في لهوٍ وَددْ ... منْ لهذا الكونِ في يومٍ وغَد
أنقذوا الإنسان من هذا الرَّدى ... أبصر الإنسان يا قومي هوى

***

أيُّها المسلمُ يا منْ خُلقا ... ليكونَ الحقُّ فيه خُلُقا
انهضنْ يا صاح بالعبْء الثَّقيل ... أنت في الأرضِ عن الله وكيل
قد قضى الخلاَّق بالأمر إليك ... قسم الأرزاق يوماً بيديك
سطِّرنْ بالحقِّ في هذي البلاد ... واحكمنْ بالعدلِ ما بينَ العباد
أنقذِ الإنسان من هذا الشَّقاء ... وأزل من أرضنا هذا العناء
املأ الأرض بحبٍّ وصفاء ... وسلامٍ ووداٍد وإخاء

(١) الكون الكبير: القلب.

واحكمنْ بالحقِّ في أرجائها ... وانْعَمنْ بالأمن في أفيائها
واملأ الآفاقَ حقًّا وسنَا ... واملأن بالخيرِ آفاقَ الدُّنا
علِّمِ الإيمان والحقَّ العلي ... علِّمِ الإيثارَ والزهدَ الغني
زهدَ مَنْ يملك آلاف الألوف ... وهي في عينيه لغوٌ وزيوف
قولةٌ في الحقِّ أعلى عنده ... فعلةٌ في الخير أغلى عنده
كلُّ ما يمسكُ منها درهمُ ... كلُّ ما ينفق منها مغنمُ
هذهِ الأموالُ جمعاً يا بني ... لا تساوي ذلةَ الحرِّ الأبي
إنَّها اللعبةُ في عينِ الحكيم ... إنَّها الدِّرهمُ في كفِّ الكريم
جوهراً يحسبُ من لا يعرفُ ... وهي عند العارفين الصَّدَفُ
إنَّما الجوهر قلبٌ قد أضاء ... وَسِعَ الأرضَ جميعاً والسَّماء
لا يعافُ الحرُّ أكلَ الطَّيبات ... آخذاً في الأرض كلَّ الثَّمرات
ربَّما استولى على أعدادها ... ربَّما أوفى على آمادها
آخذاً أو معطياً لا يَشْرَهُ ... رابحاً أو خاسراً لا يأبه
عبِّد الدُّنيا ولا تستعبده ... فاكهاً في نعمةٍ لا تفسده
حائماً للبرِّ صقراً طائرا ... لا يُريغُ الرزَّاق فيها صاغرا
فإذا شِيْمَ هواناً فزعا ... مثل ما يَفْزعُ من قد لُسعا
واستمدَّ العزَّ من همَّته ... واستثار النار مِنْ عَزْمَتِه
فإذا الماءُ لهيبٌ ودُخان ... وإذا الحلمُ ضرابٌ وطِعان
وإذا سُدَّ عليه كلُّ باب ... فارقَ الدُّنيا إلى غير إياب
إنَّ موتَ الحرِّ في ذلته ... وحياةَ الحرِّ في عزَّته

***

قـالَ لـي شـيخٌ وقـور ألمعـي ... مـن بنـي ينبـع شـهمٌ عربـي
كنـتُ يومـاً فـي عيـونٍ ونخيـل ... في القرى من ينبع النخلِ الجميل
ومعـي مـن أهـل نجـدٍ نَفَـرُ ... اصـطيادُ الطَّيـر فـيهم وطـر
وإذا صـقرٌ علينـا حلَّقـا ... سـابحا فـي جـوِّه قـد خفقـا
أسـرعَ الرفقـةُ فـي نَـصْبِ الـشَّرَكْ ... وسـماني وضـعوها فـي الـشَّبك
وهـوى فـانقضَّ هـذا الأجـدلُ ... بـل هـوى هـذا القـضاءُ المنـزلُ
فطـوى سـقطيه هـذا المهلـك ... وثـوى فـي حَبْلـه يرتبـكُ
وأتـى الـصَّيَّادُ للطيـرِ الأسـير ... عينـه فـي اللَّـوح لكـنْ لا يطيـر
سـابحُ الجـو بخـيطٍ علقـا ... ذلـك الخفَّـاق فيـه أخفقـا
ذلـكَ الـصَّياد فـي جـوِّ الـسماء ... صـاده بالختـل صـيادُ القـضاء
قـاهرُ الجـو بعـزمٍ وجنـاح ... بـدَّلَ الـشُّبَّاكَ مـنْ مَـتْن الرِّيـاح
ضـاقت الأجـواء عنـه مـسرحا ... كيـفَ يرضـى فـي إسـارٍ مطرحـا؟
ثـمَّ قـالَ الـشيخ جئنـا ننظـر ... لنـرى الأجـدلَ أنَّـى يؤسـر
فـإذا دمعـةُ عـينٍ هاملـه ... وإذا المهجـةُ فيهـا سـائله
ذا يسمَّى «الحـرُّ» من بـين الـصُّقور ... لا يطيـقُ الأسـر مـن بـين الطيـور [1]
فكـنِ الـصَّقر الأبـيَّ العاليـا ... وكـنِ الحـرَّ الكـريم الآبيـا
واحـذرنْ يـا حـرُّ هـذي التَّهلكـة ... احـذرنْ مـن خـوضِ هـذي المعركـة
إنَّهـا معركـةٌ للأبطـن ... ضـلَّ فـي غوغائهـا ذو الفِطَـن
فـي وغاهـا كـلَّ حـزمٍ ضـيَّعا ... غـابَ عنهـا العقـلُ والقلـبُ معـا
لا تغرَّنْـكَ مرايـا بارقـه ... وفنـونٌ وعلـومٌ خارقـه

(١) الحرُّ: نوع من الصقور قلَّ أن يعيش بعد إمساكه.

إنهـــا رأسٌ بـــلا قلـــبٍ يـــسير ... إنَّهـــا هـــرجٌ ومـــرجٌ وســـعير
قـــد أضـــلَّ الغـــيُّ هـــذي الأممـــا ... فثـــوى إبلـــيس فيهـــا حكمـــا
فـــدعاها فـــي ظـــلامٍ تـــصطدم ... ورماهـــا فـــي ضـــلالٍ تحتـــدم

***

الشيوعية

أحـدثُ الـدَّعوات فـي هـذي الأمـم ... تـسلُك الإنـسان فـي سِـلْكِ الغـنم
تَعِـدُ الإنـسانَ بـالمرعى الخـصيب ... فيـــه عُـــشْبٌ ورُغـــاءٌ ونَبيـــب
تَعِـــدُ الإنـــسان أعـــشابَ الرَّبيـــع ... ثـــمَّ عـــيشٌ مثـــل مـــا عـــاش القطيـــع
يوعـــدُ المرعـــى ولا شـــيء لـــه ... وعـــصا الرَّاعـــي تربـــه أُكْلَـــه
لـيس يرغـو سـربُهم: أيـنَ المـسير ... لا، ولا يثغـو إلـى أيـنَ المـصير
ويـــتمُّ الـــشِّبه فيـــه بـــالغنم ... قطعـــةُ عـــن منبـــعِ الخيـــر العَمِـــم
كفـــرُه بـــالله والخيـــر ومـــا ... فيـــه إنـــسانٌ عـــن العُجـــم ســـما
وضـــياعُ البيـــتِ منـــه والـــرَّحِم ... وحنـــانِ القلـــب مـــن أختٍ وأم
كـــافرٌ بـــاللهِ لا بـــالوثن ... كـــافرٌ بالـــسِّلمِ لا بـــالفتن
يبـــصر الظُّلمـــةَ عنـــد الـــصَّنم ... عـــن ضـــياء الله والحـــقِّ عمـــي
كـــلُّ مـــا فـــي البيـــت مـــن ودٍّ وحـــبّ ... لا يـــساوي عنـــده مكيـــالَ حَـــبّ
كـــلُّ مـــا يـــدعو أنـــاسٌ بالـــشعور ... لا يـــساوي عنـــده كـــفَّ شـــعير
ذاكـــمُ الـــسَّيرُ وهـــذا المنتهـــى ... أنعمـــوا التفكيـــرَ يـــا أهـــلَ النُّهـــى

***

إقبال

بـيَّنَ الإقبـالُ مـن سـرِّ الحيـاة ... وأزالَ الـسِّتر عـن نـور النجـاة
بَـيَّن الإقبـالُ مـن سـير الزَّمـان ... وأفـاضَ النُّـور مـن هـدي القُـرآن
بـثَّ فـي الـنفس كلامـاً مـن شَـرر ... منه عـشقُ الحـقِّ فـي القلـبِ استعر
فتقـت نظراتُـه كـلَّ حجـاب ... فـرأى الدَّوحـة مـن تحـت التُّـراب
ضـاقتِ الآفـاقُ عـن نظراتـه ... ضـجَّت الأفـلاك مـن أنَّاتـه
وَصَـلَتْهُ نفحـةٌ مـنْ ربِّـه ... فتجلَّـى نـورُه فـي قلبـه
قـد ثـوى فـي قلبـه كـلُّ الجهـات ... واسـتوى فـي فكـره مـاضٍ وآت
سـال فـي ألحانـه دمـعٌ ودمُ ... والتقـى المـاءُ عليهـا والـضَّرم

***

يـا بَـرودَ القلـبِ خـذْ مِـنْ نـارِه ... فالحيـاةُ الحـقُّ فـي أشـعاره
يـا مـواتَ القلـب خـذْ مـن رجعـه [1] ... يـا جمـودَ العـين خـذْ مـن دَمْعـه
يـا صـغيرَ الهـمِّ خُـذ مـن همَّتـه ... يـا كليـلَ العَـزم خُـذ مـن عزمتـه
يـا أسـيرَ اليـأس خـذ آمالـه ... فـي دجـى اليـأس أثِـر أقوالـه
أيهـا المـسلم صـعد فـي الـسماء ... وابلغـن فـي جوِّهـا أعلـى العـلاء
وخـذ الإقـدامَ منـه والطَّمـاح ... وجناحـاً قـاهراً هُـوجَ الرِّيـاح
ذا جـلالُ الـدِّين مـنْ خَلْـفِ العُـصور ... قـد أتـى فـي شِـعرِهِ نـارٌ ونـور [2]
إنَّـه الإسـلام فـي عزَّتـه ... إنَّـه الإيمـانُ فـي قوَّتـه

---

(١) الرَّجع: المطر، كماء، جاء في القرآن.

(٢) مَولانا جلال الدين الرومي، والشاعر يعترف باقتدائه به.

إنَّـــه القـــرآن فـــي أنـــواره إنَّـــه الفرقـــانُ فـــي أســـراره

***

وامـضِ يـا بـرق بوجـدي وهيـامي أبلغـــن قبـــراً بلاهـــور ســـلامي
إنَّ: إقبـــالاً بلاهـــور أقـــام رحمـــةُ اللهِ عليـــه والـــسَّلام

***

دعاء

فـــالقَ الإصـــباح ربَّ المـــشرقين باســـطَ الليـــل وربَّ المغـــربين !
أنـت فـي الـصُّبح ضـياءٌ فـي جمـال أنـت فـي الليـل ضـياءٌ فـي جـلال
ناشـرَ الـشَّمس خِـضَمَّاً مـن ضـياء طـاوي الـذَّرةِ شمـساً فـي خفـاء
أنـت نـورٌ فـي ظهـورٍ وجـلاء أنـت نـورٌ فـي حجـابٍ وخفـاء
يـا جليـساً فـي دُجـى أسـتاره يـا خفيـاً فـي ضُـحى أنـواره
يـا أنيـساً فـي قلـوب العـارفين وحيـــاةً لقلـــوب الغـــافلين
يـا ضـياءَ العـين فـي النـور العمـم وضـياءَ القلـب فـي داجـي الظُّلـم
قربُـك المـؤنس فـي هـذي القفـار هـديك المنقـذ فـي هـذي البحـار
نـاظمَ الكـونِ البليـغِ المبـدعا محـــسنا مطلعَـــه والمقطعـــا
خلقُـك الألفـاظُ فيـه وافيـه أمـرك الـوزن لـه والقافيـة [1]
كـلُّ لفـظٍ فيـه نُظَّـارٌ إليـك كـلُّ معنـى فيـه برهـانٌ عليـك

---

(١) في القرآن الكريم: (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) [الأعراف: ٥٤].

منـكَ هـذا العقـلُ، هـذا الثَّـائرُ ... طالـبٌ إيَّـاك سـاع حـائرُ
جـاوز الأفـلاك يـسعى نحوكـا ... يَكـشفُ الأسـتار يبغـي وجهكـا
منـكَ هـذا القلـبُ، هـذا الخـافقُ ... فـي الـدياجي منـك نـورٌ بـارق
ذاكـرٌ إيَّـاك راجٍ كـلَّ حـين ... خفقُـه ذكـرٌ وشـوقٌ وحنـين

***

اجعلـن عقلـي ضـياءً ثاقبـا ... يَـصْدَعُ الباطـل حقًّـا صـائبا
واشـددَنْ فكـري بـصدقٍ وسـداد ... واحبُنـي التوفيـقَ فـي كـلِّ مـراد
وامـلأن قلبـي بحـبٍّ وصـفاء ... واحْفَظَنْـهُ مـنْ شـقاقٍ ومِـراء
وارْفَعَـنْ فـي الحـق صـوتي عاليـا ... وجنـاني فيـه عـضباً ماضـيا
واجْعَلَـن وجهـك قـصدي لا سـواه ... هـوِّنَنْ فـي عـين قلبـي مـا عـداه
وامـنح المـسلم قلبـاً خافقـا ... واحبُـه بـالعلم عقـلاً بارقـا
امنَحَنْـهُ العقـلَ والقلـبَ السَّليم ... واهـده ربِّ الـصراطَ المـستقيم
واجعَلَنْـهُ فـي البرايـا حكمـا ... قاضـياً بالعـدلِ إمَّـا حكمـا
اجعَلَنْـهُ قائـدا بـين البـشر ... هاديـاً للخيـر لا يـسعى لِـشَر

***

أنقـذِ الإنـسان مـن هـذي الغُمَـم ... أنْجِـيَنْ مِـنْ بغيهـا هـذي الأمـم
هـدم الإنـسان مـا قـد عمـرا ... حينمـا أمَّـر عقـلاً كفـرا
فاهـدِ بالإيمـان عقـلا حـائرا ... واجعـل القلـب عليـه آمـرا
أدرِكِ النَّـاس بحـبٍّ ووئـام ... إنَّـك الـدَّاعي إلـى دار السلام [1]

(١) في القرآن الكريم: (والله يدعو إلى دار السلام) [يونس: ٢٥].

***

(١) تمت الترجمة عشية يوم الجمعة السابع من رجب سنة ١٣٧٠ من الهجرة، في مدينة كراچي. ولله الحمد أولا وآخرا (سبحانك لا عِلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) [البقرة: ٣٢]. المترجم الدكتور عبد الوهاب عزام.

obeikandl.com

طبع هذا الديوان أول مرة باللغة الفارسية عام ١٩٢٣م، وكتب الشاعر فوق عنوان الديوان: (ولله المشرق والمغرب) [البقرة: ١١٥] وكتب تحته: «جواب ديوان الشاعر جوته».

وقدَّم محمد إقبال هذا الديوان على أنه شعر الفارسية الكامل، لأنه قدم إلى القارئ اللغة الفارسية في مجموعة من الأشعار تحتوي على مختلف أقسام الشعر الفارسي من الغزل والرُّباعي والبيتي والقطع والمثنوي وغيرها، ويُصادفنا في الديوان الشعرُ الأخلاقي والحركات السياسية والاجتماعية لذلك الوقت.

والديوان روضةٌ من الشعر تختلف أزهارها، ونوارها، وضروب النبات فيها، وألوان وصنوف الريحان فيها وروائحه، جمعت أشتات الزهر من المشرق والمغرب.

***

obeikandl.com